البطريرك القديس

الأنبا اسحق

يوسف حبيب

١٩٦٦

سلسلة الدراسات القبطية

— ٣٠ —

البطريرك
القديس الأنبا إسحق
الحادي والأربعون

عن المخطوطة القبطية رقم ٦٢ بمكتبة الفاتيكان

حقوق التأليف والترجمة والطبع محفوظة

١٩٦٦

يوسف حبيب

صورة صاحب النيطة البابا المعظم الأنبا كيرلس السادس
بابا وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة

كتب ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين سير البطاركة ونقلها إلى الانجليزية ايفتس *Evetts* ووردت سيرهم فى سنكسار « رينيه باسيه » وفى سنكسار الكنيسة القبطية ، وهذه السير جميعها مختصرة .

ومن أخبار الأنبا ســـاويرس بن المقفع (القرن العاشر) ومعاونيه الذين ساعدوه فى جمع سير البطاركة فى كتاب واحـد يتضح أن السير التى جمعوها تبتدىء من مار مرقس البشير وتنتهى إلى البابا سانوتيوس الثانى البطريرك ٦٥ ، والسير التى نقلت على التحقيق من اليونانى والقبطى الى العربى هى سير الـ ٤٦ بطريركا الأول التى وجدت بدير ابو مقار وبدير نادرس بابلاج الزيتون بالفيوم وبأديرة الصعيد . أما البافون فالبابوات من مينا ٤٧ الى ســـانوتيوس الأول (٥٦) ، من المرجح انها كتبت بالقبطى كما يلاحظ ذلك من لهجة ولغة السير العربية لأنها تدل فى روحها على أنها مترجمة عن لغة أخرى أى انها غير مؤلفة باللغة العربيـة مباشرة ، أما السير العشر الباقية فكتبت ووضعت باللغة العربية

مباشرة ... (١) .

ولقد نشر اميلينو بالقبطية سيرة هذا البطريرك القديس الأنبا اسحق ٤١ ، فى مجلة المراسلات الافريقية فى سنة ١٨٩٠ ، طبقا للمخطوطة القبطية البحيرية رقم ٦٢ بمكتبة الفاتيكان ونسخة منها بمتحف « بورجيا » ، كما نشر هذه السيرة العلامة " E. Porcher " فى كتابه « سيرة الأنبا اسحق بطريرك الاسكندرية ٦٨٦ - ٦٨٩ م » .

ويقول " Porcher " فى مقدمة كتابه أنه استطاع بفضل " M. Graffin " أن يحصل على صورة فوتوغرافية من النص رقم « Cod. Vat. ٦٢ » ، من صفحة ٢١١ الى ٢٤٣ الذى يحتوى على حياة الأنبا اسحق فى الصفحات المرقمة ترقيماً خاصا من ١ - ٦٤ ، وهو النص الذى قدمه بعد الرجوع إلى النص الذى نشره « اميلينو » الذى يعزى اليه الفضل فى نشر السيرة للمرة الأولى .

هذا البطريرك القديس كان أحد رهبان دير القديس مكاريوس الكبير وكان تليذا للبابا الأنبا يوحنا الثالث البطريرك الأربعين - عاش فى القرن السابع وتعيد له الكنيسة القبطية فى اليوم التاسع من شهر هاتور .

(١) عن كتاب جدول البطاركة لكامل صالح نخله ص ٣٢ .

تميز بالقداسة والحكمة فى التصرف والذكاء وسرعة الخاطر ، وكان منذ صباه شديد النسك ، فكان فى رهبنته فى مدة الصوم الأربعينى يسكن فى احدى الفلالى بعيدا عن الدير متفرغاً لحياة التأمل والصلوات المستمرة ، وكان فى حياته الخاصة التى بينه وبين الله شديد الصرامة على نفسه حتى أنه لما زاره مرة القديسان الناسكان الكبيران ابرآم وجورجى لم يجدا فى قلايته سوى القليل من الخبز والملح ، وهكذا كان يخفى الأمور الحسنة عن الناس لينال حسن الجزاء فى اليوم الأخير الذى فيه يأتى الرب ليدين الأحياء والأموات ويجازى كل واحد حسب أعماله .

كانت رسامته بموافقة ورضاء الشعب الذى أصر على انتخابه ، وقطع الأساقفة الثمانى « جرجس » الذى تملك القسيسية بغير استحقاق واشتهى رتبة رئاسة الأساقفة ، وأراد البعض أن يقدمه فى استبتار حتى يوم الرسامة الذى ينبغى ألا يكون سوى يوم الأحد ، مما يدل على الوعى الروحى فى ذلك الوقت والتمسك الشديد بالقوانين الكنسية ، إذ لم يقتصر الأمر على ابعاد ذلك المعتدى عن الرياسة ولكن الأساقفة قضوا بتجريده ليكون عبرة لكل معتد وليكون فى تأديبه درس نافع على مر الأجيال لمن يسلك خلافا لما تقضى به القوانين .

وما أن استلم القديس عصا الرعاية حتى رد كثيرين الى الإيمان الحقيقي بالسيد المسيح، وتجددت في أيامه بيعة كثيرة منها بيعة القديس مار مرقس الانجيلي ومقر البطريركية بالاسكندرية، وقد منحه الله مواهب الشفاء وعمل المعجزات. شفى مرضى كثيرين حتى من الذين كانوا يناصبونه العداء. عملا بوصية السيد المسيح التي تنادي بمحبة الأعداء والصفح عن المسيئين.

كتب سيرته راهب في نفس الدير الذي عاش فيه الأنبا اسحق وهو الأنبا مينا أسقف ابشاتي، نيقيوس، بالمنوفيـــة، الذي خلف الأنبا يوحنا أسقف نيقيوس المعاصر لأنبا اسحق البطريرك، ونسخها بعض الرهبان وكانت تقرأ في الأديرة. وقد قمت بترجمة هذه السيرة التي نشرها " E. Porcher " وهذه هي المرة الأولى التي تظهر فيها هذه السيرة إلى النور بالعربية عن مؤلف القديس الأنبا مينا السابق ذكره، وعن مراجع أخرى كثيرة، ونقدمها اليك ايها القارىء العزيز راجين أن تكون سبب بركة لكثيرين ولإلهنا المجد دائما أبدياً آمين.

يوسف حبيب

الإهداء الى الآباء بطاركة القرن السابع

WOYNIATK ΔBBA ΔNACTACIOC

KETTAλIN ΔBBA ΔNAPONIKOC

†GTCI ΔIWWTEN CWC

EIWOTNEAI ABBA BENIAEAHN †ΦBIOC

NACCEλIKON ΦHETAYNAYETΠXC

EYΘWPC ΔITTIEPΦEI NTE ABBA UAKAPIOC

ΦIWT NNIAPXHETTICKOTTOC

ΠTINIWT† ΔEN NIACIOC

ΠTΔHBC NTE †ΔIETMONAXOC

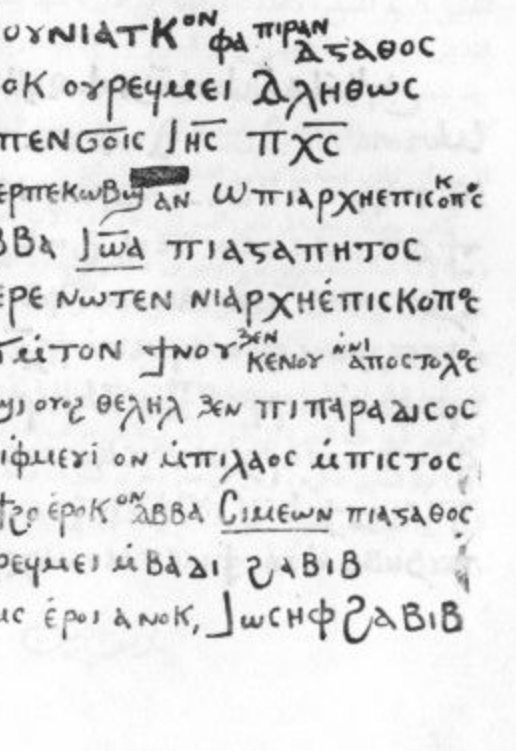

قال : « ان ذكرى البطريرك المكرم التى تثير الفرح بقلبى تدعونا اليوم يا أحبائى فنفيض قلوبنا بالفرح الروحى إذ نتقدم لمديحه المقدس . من يستطيع أن يفى بكرامة هـذا الراعى الحقيق رئيس الأساقفة الأمين الذى أحب الفضيلة منذ صباه . واشتاق إلى السيرة الملائكية المقدسة ، ولهذا فإنه ظهر مضيئاً هكذا حتى أنه اؤتمن على رعاية خراف الكنيسة لمدينة الاسكندرية العظمى وكل كورة مصر » .

« ثم يقول : وما كان لى أن اجرؤ فأقول كلمة من نفسى أنا الضعيف لكننا نكتب لكم باسمعناه وما نعرفه سواء أكنتم قراء أو سامعين لمجد الله وقديسيه » .

« هذا القديس ياإخوتى مصرى الجنس من بلدة «بيشو»(١). كان والداه محبين لله جدا وكان لهما جوار وممتلكات كثيرة ، ولما أنجبا هذا الطفل دعوا اسمه اسحق ، تفسيره الفرح ، ولما كملت الأيام لكى يعتمد حسب الشريعة المسيحية أخـذه والداه إلى أسقف تلك الجهة ، وكان رجلا مملوءا بالروح القدس ، وحدثه أنه بينما كان يعمد الطفل فى جرن المعمودية باسم الآب والابن

(١) سيأتى الكلام عنها .

والروح القدس الثـالوث المساوى أن رأى صليبا من نور على رأس الطفل ، وللحال وهو مسوق من الروح القـدس صرخ بصوت النبوة قائلا : « عظيم أنت أيها الرب الإله ضابط الكل وأنت وحدك الممجد وفى كل أعمالك من يستطيع أن يتكلم ؟» . ولما قال الأسقف هذا ، سأله لوالديه قائلا لهما « احفظا هـذا الطفل لأنه قربان لله وسوف يكون رئيسا للكهنة فى بيت الله وسيؤتمن على شعوب كثيرة » .

ولما سمع والداه هذا رفعا صوتيهما وقالا : « ليكن اسم الرب مباركا من الآن والى أبد الآبد » . ولما كبر الطفل أرسله والداه الى المدرسة ولم يمض وقت طويل حتى تعلم الكتابة وألم بالعلوم حتى كان يتعجب منه كل الذين كانوا فى المدرسة اذ رأوا الفهم والذكاء الذى حباه الرب به ، فمالت اليه قلوب كل الذين كانوا معه فى المدرسة ، وإذ امتلأ من كل معرفة وحكمة سلمه والداه الى أحد أقاربهما ويدعى «مينسون» وكان مديرا لسكرتيرية الرئيس جورج الذى كان حاكما وكبيرا فى كورة مصر لكى يلحق الصبى اسحق سكرتيرا .

ولما كانت نفسه تشتاق لحياة الرهبنة فإنه عاش هذه الحياة

وهو فى مركزه (١) ، وابتدأ يحفظ المزامير عن ظهر قلب، وكان يصوم حتى المساء كل الأيام ، وكان يداوم على حضور الاجتماعات الروحية ، وكان يلبس قميصاً من شعر من الداخل ، أما خارجا فكان يلبس ملابس رفيعة .

وحدث ذات يوم ان الحاكم استدعى « مينسون » ليكتب رسالة عاجلة ، ولما لم يجده استشاط غضبا واستدعى الصبى اسحق وسأله : « اين معلمك » فأجابه : « لست أعرف » ، واذا رأى وجهه مكتئبا خاطبه كما خاطب داود ملك اسرائيل قائلا له : « لماذا وجه سيدى مكتئب » ؟ مرنى وأنا اكتب الرسالة كما تريد . . . » وتعجب الرئيس الحاكم من إجابته وعلى سبيل التجربة سمح له وأمره بالمضى الى احدى الغرف ليكتب

(١) هكذا ينبغى على طالب الرهبنة أن يتعود على حياة الصلاة والصبر والتعب قبل انخراطه فى سلكها . ولهذا تقول القوانين (ص ١٠٨ المجموع الصفوى طبعة ١٩٢٧) مانصه :

« فينبغى أن يمتحن الانسان نفسه أولا ويروضها فى سائر أنواع الجهادات النفسانية والبدنية قبل أن يدخل فى نير الرهبانية فبعد دخوله فيها لا سبيل الى تركها والنزول عنها . وقد ضرب الرب فى ذلك مثلا بالذى يريد أن يبنى برجا أنه يجب عليه أن يمتحن أمره ان كان يمكن كماله لئلا ضحك عليه من الشياطين ويهزأ به الناس أجمعين . . . »

الرسالة ويحضرها ليراها ، ولما كتبها أحضرها له وأراها له . ولما رأى الحاكم الرسالة التى كتبها الصبى تعجب جدا وقال له : « أأنت بهذه المقدرة ولست أدرى حتى هذا اليوم ؟ » ، حقا ان الانسان ينظر إلى الوجه أما الله فإنه ينظر إلى القلب ، ومن ذلك اليوم جعله الحاكم رئيسا للسكرتيرية ، وكان يحبه الجميع أحبه كل من فى الديوان ولقبوه بالقديس بسبب الحكمة التى فيه .

أما أبواه فكانا يقدرانه ويرجوان أن يكون سيدا ومالكا لكل مقتنياتهما وأرادا تزويجه ليفرحا به وبنيه ولم يعلما نصيب اسحق وأنه لن يكون هكذا بل انه سيصير أبا لجموع كثيرة هم جميعا أبناؤه ، وأن الذى أفرز أرميا وهو فى بطن أمه هو أيضا أفرز هذا القديس ، ورغم رفض اسحق للزواج لم يأبه والداه لرفضه ـ وعملا على إتمام الخطوبة رغم ارادته وانتظرا ساعة الرفاف .

الفصل الثانى

تركه أباطيل العالم وذهابه إلى الاسقيط

تقول المخطوطة : « كان للقديس اشتياق عظيم لحياة الرهبنة وكان يتذكر قول الرب فى الانجيل : « من أحب أبا أو أما أكثر منى فلا

يستحقنى » (١) وأيضا : « كل من ترك أبا أو أما أو امرأة أو اختا أو أخا أو بيتا أو حقلا أو ابنا من أجل ملكوت الله يأخذ مائة ضعف فى هذا الدهر وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية » (٢) وأيضا قول الرسول : « أن هيئة هذا العالم تزول ، فأريد أن تكونوا بلا هم » (٣) وقول القديس يوحنا الرسول : « العالم يمضى وشهوته وأما الذى يصنع مشيئة الله فيثبت الى الأبد » (٤) ، وأيضا: « كل مافى العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ليس من الآب بل من العالم » (٥) .

وإذ كان القديس يداوم على تلاوة هذه الاقوال وتذكرها كل الأيام قرر فى نفسه أن يترك أباطيل هذا العالم وكل اهتمامه.

وحدث بعد ذلك أن الحاكم « جورجيوس » رقد فى الرب فوجد الفتى الفرصة التى يشتهيها قد سنحت فخرج من القصر وانطلق إلى منزله وقضى مع والديه أياما قليلة، وكانا يغمرانه بحبهما وعطفهما وكانا يخشيان لئلا يذهب بعيدا عنهما، وقرر بعدئذ فى عزم راسخ الانطلاق الى برية شيهيت .

---

(١) مت ١٠ : ٣٧ (٢) مت ١٩ : ٢٩ ومرقس ١٠ : ٢٩و٣٠
(٣) ١ كو ٧ : ٣١و٣٢ (٤) ١يو٢ : ١٧ (٥) ١يو٢ : ١٦

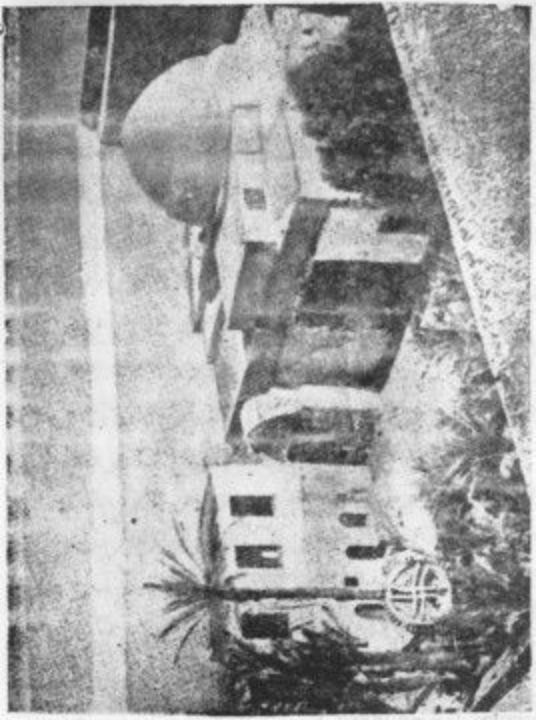

كنيسة القديس مكاريوس بديره ببرية شيهيت

ذهابه إلى جبل شيهيت

أيا جبل شيهيت المبارك ، الجبل الذى حل عليه الله مع ملائكة! أيها الجبل المؤدى لغفران الخطايا! أيها الجبل الذى جعل الخطاة يعاينون الله ! أيها الجبل الروحانى الذى جعل كل هذا المكان مملوءاً من الرائحة الزكية صلوات القديسين الساكنين فيه !

« أيا جبل النطرون المقدس الذى أصبح - نطرونا روحيا - يغسل اوزار النفوس ! . . . يا جبل الملح المكرم الذى خرج منه كثير من أملاح الأرض . . . هذه التى ملحت النفوس التى أفسدها الإثم . . . (١)

وتمضى المخطوطة تقول :

« ذهب إلى جبل شيهيت المقدس ، هذا الذى يكن فيه صفوف القديسين والرهبان المباركون. أولئك الذين صلبوا أجسادهم

(1) Histoire des Monastéres de la Basse Egypte (Amélineau) .

بأتعاب الفضيلة محتملين إماتة يسوع كل حين فى أجسادهم ، على رجاء المجد الذى سوف يستعلن لهم حسبما هو مكتوب : « إنه إن كنا نتألم معه فسنتمجد أيضاً معه »

« ولما انطلق إلى شيهيت سكن فى دير أبا زكريا صاحب الاسم الحسن ايغومينس « لافرا » (١) القديس مكاريوس ، ولما رأى الشيخ الأنبا زكريا (صار فيما بعد أسقفاً لمدينة صاى Saïs) الشاب القديس قادماً نحوه رأى للحال صليباً فوق رأسه ، ولما رأى هذه الأعجوبة تعجب جداً وصرخ قائلا « كما علت السموات يارب هكذا أفكارك ما أبعدها وما أعمقها . . »

« وبينما كان الأنبا زكريا يتفكر فى أمر هذا الشاب وما سوف يحدث له ، للحال ظهر له ملاك الرب وقال له : « هو ذا الرب قد أنعم عليك بقربان طاهر ، هو هذا الفتى الذى وفد إليك » ولما أعلمه الملاك بهذه الأمور فرح الأنبا زكريا فرحاً شديداً ، وبعد أن مكث معه نحو ثلاثة أيام يتكلم معه عن خلاص النفس أرسله إلى الطرانه (٢) إلى قلاية أحد أصدقائه الآباء القديسين ليمكن قريباً منه حتى يعرف ماذا يكون من أمره

(١) سيأتى شرحها . (٢) منها يبدأ الطريق إلى وادى النطرون .

والديه وما سوف يعملانه ، لأنه كان يخشى لئلا يعثرا عليه بقربه ويسببا إزعاجاً لسكان الجبل المقدس ، وكان الأنبا زكريا ذائع الصيت فى القداسة » .

ولما ذهب الشاب إلى الطرانه مضى إلى بيت الرجل مضيفه وقد أخبره أبناؤه أن أباهم إنطلق إلى الحقل ، فمضى الشاب مسرعاً إلى « الشونة » وأخذ أكواماً من البرسيم ونام عليها ، ولما عاد الرجل من الحقل وكان اسمه يوسف ، قساً مشهوداً له من كثيرين وقد صار معترفاً حيث وقف أمام الحاكم قيرس (١) الذى كان

(١) قيرس « Cyrus » روى الجنس وهو المعروف بالمقوقس وهذا عينه هرقل ملك الروم بطريركاً ملكياً (خلقدونيا) فى الاسكندرية لإلزام الأرثوذكسيين بقبول مجمع خلقدونية ، وكلفه فوق ذلك بمجابهة المراج فتقلد سلطة مدنية علاوة على السلطة الدينية ـ وقد اضطهد كيروس البطريرك القطبى الأنبا بنيامين ٣٨ فى القرن السابع وأنزل بلايا كثيرة بالرعاة والرعية .

ويقول ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونيين فى كتابه سير البطاركة « ولما ملك هرقل الأرض أقام الولاة فى كل موضع وبعث بوالٍ إلى أرض مصر يدعى قيرس ليكون بطريركا ووالياً ، فلما وصل الى الاسكندرية أعلم ملك الروم الأنبا بنيامين به وأمره أن يهرب هو ومن معه لأن شدائد عظيمة تنزل عليهم ...) .

له العذابات لأجل اعترافه بالإيمان الصحيح ، وضع دابته فى المذود ومضى إلى الشونة لكى يأخذ أكوام البرسيم لدابته ، فرأى أكواماً من البرسيم التى كان الفتى قد إلتقطها وعليها شكل صليب من نور مضىء ببريق ، ولدى رؤيته هذا المنظر العجيب اندهش ومضى نحو الصبى فسأله : « من أى أقليم أنت يا بنى ؟ » ، فأعلمه بكل شىء . وللحال أمسك برأس الصبى وقبلها قائلا : « بركة الرب على هذا الرأس المبارك » . . . ومكث القس الشيخ معه بعض الوقت » .

« . . . بحث والداه عنه ولم يجداه فحزنا حزناً شديداً وبكياه كثيراً وتبدل فرحهما إلى نوح ، وفتشا الأديرة كلها بحثاً عنه ولم يجداه ، ثم مضيا إلى شيبيت أيضاً ليبحثا عنه ولم يستطيعا أن يكتشفا أمره ويعلما مقره .

وكان من عادتهما أن يشاركا بعضهما البعض فى الآلام ساعين وراء الخلاص من شهوات العالم باذلين كل اجتهاد لينفذا أقوال المخلص : « أنه ليس حب أعظم من هذا أن يبذل الانسان نفسه عن قريبه » (١) .

(١) يوحنا ١٥ : ١٣ النص هكذا « ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه » .

« ولما رأى والداه أن ابنهما قد اختفى ولم يعد يظهر بعد إنطلقا إلى الاسكندرية وقابلا رئيس الأساقفة وأعلماه بالأمر، وقد خشى الآب البطريرك لئلا يبلغ والده السلطات المختصة وقد يترتب على ذلك إزعاج سكان الجبل المقدس . . . ، ولما علم الآب الشيخ زكريا ورأى زوان إبليس فضل أن يركب الصعاب من أجل هذا الفتى ولا يسلمه إلى والديه حسب الجسد مكملا قول المخلص : « من يقبل صبياً باسمى فقد قبلنى » (١) .

رهبنته

« حدث بعد هذا أن حلق رأسه وألبسه ملابس الرهبان ودعى أحد تلاميذه ويسمى أبرآم وكان ناسكاً (٢) وقال له : خذ هذا الشاب واذهب إلى جبل باماهو (بنها) واسكن هناك إلى الوقت الذى يطيب فيه الرب قلب والديه وابعث فى طلبكما ، وقال القديس اسحق للشيخ أبرآم ثم أمض معى إلى

(١) مت ١٨ : ٥ النص هكذا : « ومن قبل ولداً واحداً مثل هذا باسمى فقد قبلنى »

٢) يقول ايفلين هوايت فى كتابه الجزء الثانى ص ٢٨٣ أنه يحتمل أن يكون إبراهيم هذا هو رفيق جورجى التاسك الشهير ، وهما تلميذان للقديس الأنبا يحنس قمن شيهيت (القرن السابع) .

والدى لكى أظهر أمامهما لأنه بالحقيقة إذا لم أظهر نفسى لهما لن يتركانى طليقاً ، ولما سمع الشيخ هذه الأقوال من اسحق اغتم وظن أن اسحق مال إلى ترك الحياة الرهبانية بسبب الضيقات التى أتت عليه . حينئذ أجاب الشيخ وقال له : « لا تكن صغير القلب فى الضيقات لأنه مكتوب : « ان الضيق ينشىء صبراً والصبر تزكية والتزكية رجاء والرجاء لا يخزى (١) ، والآن يا أخى الحبيب لنعتصم بالصبر هذا الزمان القصير لأنه مكتوب « إن الذى يحبه الرب يؤدبه » ، ومكتوب أيضاً : « إن أردت أن تخدم الرب أعدد نفسك للتجربة » ، ومكتوب : « جربنى يا رب وامتحنى (٢) ، فإذا لم يختبرنا الرب كيف تعرف محبتنا له ، وبهذه الأقوال وأمثالها كان الشيخ يحدثه .

أجاب الشاب اسحق وقال له لقد أعطيتنى درساً حسناً يا أبى القديس ، إنى لست مستعداً لأن أتبعك فحسب بل أموت على على اسم سيدى يسوع المسيح هذا الذى لأجله تركت كل شىء لكى أتبعه حتى يجعلنى مستحقاً للحياة الأبدية من قبل صلاحه ، ولما سمع الشيخ هذا الكلام فرح فرحاً عظيماً وللحال قام

(١) رو ٥ : ٣ ـ ٥ .

(٢) مز ٢٦ : ٢ .

الإثنان معاً وسارا وهما يلهجان بكلام الله حتى وصلا إلى قرية الشاب

وكان المكان خارج القرية فى مـــكان يملكه والده - راهب شيخ . وإذ آذنت الشمس بالمغيب قبلهما الشيخ ضيفين ولو أنه لم يكن يعرفهما .

أما الشاب اسحق فقال له : « هل تعرف يا أبى ما إذا كانوا قد عثروا على اسحق السكرتير ؟ » أجاب بالنفى وأخـــبره أنه لم يعثر عليه أحد وأنه يوجد حزن كثير فى المنزل بسبب هذا الأمر ، وأن الحزن لم يفارق والديه منذ غيابه عنهما .

حينئذ أجاب : « أنا اسحق » ، وإذ وقع الشيخ فى دهشة عظيمة إنحنى أمامه واستحلفه ألا يخبر أحداً بأمره .

وكان يوجد شماس يدعى فيلوثيئوس قريب للشاب اسحق كان يخاف الله وكان يعتبر كأب بين كل أقاربه ، ولما بعث فى طلبه أتى إليه على الفور ولما رآه فرح فرحاً عظيماً فتكلم معه القديس اسحق قائلا : « إن وجدت نعمة لديك تكلم من أجلى مع والدى حتى لا يعيقانى ويحجزانى طرفهما » . ولما إنصرف الشماس عنه تكلم مع والديه كما وعده وأقسما أنهما لن يحجزاه ،

حينئذ أظهر القديس الأمر لهما ولما سمعا ذلك غمرهما الفرح والتهليل وأسرع أهل القرية كلها لرؤية الشاب الغائب . لكن إذ علم أبواه أنه قد صار راهباً لم يعرفا ماذا يفعلان به ، وإذ صارا فى دهشة ولم يعرفا ما ينطقان به خصوصاً بعد القسم الذى أقسما به للشماس أبقياه طرفهما حوالى شهر حتى يتمتعا برؤيته والمكوث معه ، وكان اسحق يتكلم معهما بما فيه منفعة النفس وكان بما قاله لهما . « يا أبتى اطلب إلينا ألا نتكلا على هذا الغنى الغير الثابت ولا نفتخرا بكثرة أموالنا لأن كل هذا يزول سريعاً . . . » . وأيضاً : « . . . لا تجعلوا الأمور الزائلة تضيع وتفسد الأمور الأبدية ، ولتشبع بطون الفقراء من خيراتكم . . . » .

وبعد هذا ترك والديه فى طريقه إلى الصحراء . . .

وقيل عنه أنه مرارا كثيرة وهو نائم كان ملاك ملتحف بالنور يقـــترب إليه ويظلل بجناحيه حتى ينهض من نومه ، وهكذا كان يرى أيضاً منطلقاً إلى السماء .

يا للنعم التى لا ينطق بها التى أنعم بها على أبناء البشر أنظروا مقدار كرامة هذا الرجل الذى تظلل عليه الملائكة . . .

وقيل عنه أيضاً أنه من يوم ميلاده حتى يوم نياحته لم يقترب

من أعمال البؤس لأنه مكتوب : « إن ملاك الرب يعسكر حول خائفيه وينجيهم » .

عودته الى الاسقيط

بعد أن أمضى شهراً وهو يقرب والديه وافقاه على مايريده ويشتهيه فكان يرتل مع النبي قائلا : « الفخ إنكسر ونحن نجونا عونا باسم الرب الذى صنع السماء والأرض » (١) وأيضاً يمينك يارب صنعت قوة . . .

ولما إنطلق إلى شيبرت إلى جبل الرب المقدس كان يلهج بكلام الله وحالما راه أبوه الروحى فرح به فرحاً عظيماً ومكث بقرب الشيخ الأنبا زكريا يساعده فى كل أعماله كما كان يشوع يخدم موسى - وكان يتأمل فضائل الإخوة الذين كانوا فى الدير والذين كانوا يسلكون حسب قوانين الرهبنة متقدمين فى كل فضيلة مثل الأشجار المحملة أثماراً .

نسكه وفضائله ومواهبه

إن فضائل الشاب اسحق يتعجب منها إذ فاقت فضائل كل

(١) مز ١٢٣ .

الذين فى الدير ، وقد أخضع جسده لضروب النسك والتقشف ، كان هادئاً وديعاً مزدانا بكل عطايا الروح القدس ، كان يسهر أغلب ساعات الليل وبالأخص ليلة الأحد فإنه كان لا ينام البتة ، كان محباً للاخوة يهتم بخدمتهم ، يوقد النيران للمتدفئة ويخدمهم جميعاً ويعد لهم المائدة متشبهاً بمخلصه الذى قال : « من أراد فيكم أن يكون عظيماً فليكن خادماً » (١) .

وكانوا يقدمون له أموالا كثيرة وملابس لكنه كان يفرقها على الإخوة فى ذلك الموضع وكان مصدر تعزية الاخوة جميعاً .

وقد أعطى الآب الروحى للدير أمراً للرهبان يقول : « إذا دخل اسحق إلى سكن أى واحد منكم فقفوا حتى ينصرف » ، لكنه لم يخبر الشاب اسحق بشىء لئلا يتكبر قلبه . . .

وقال الشيخ : « . . . إذا قلت عن هذا القديس أنه أفرز للرب مذ كان فى بطن أمه لا أخطىء البتة » ، وقد فتح الله قلب الشاب اسحق ليفهم الكتب ولم يعد لديه أمر يتعذر فهمه وبالأخص أقوال معلمى البيعة .

(١) مت ٢٠ : ٢٦ .

وكان فى البرية شيخ متقـــدم فى الأيام ومتزايد فى النسك مشهوداً له من الجميع بفضائله ، وحدث أنه لما رأى القديس اسحق قال للاخوة الذين كانوا سائرين معه : « هذا اسرائيلى حقاً لا غش فيه » (١) سوف يكون رئيس أساقفة أسكندرية وسيكون عظيماً أمام الله وأقواله تبلغ إلى أقصى المسكونة . فلما سمع الإخوة هذه الأقوال من فم الشيخ القديس تعجبوا ومجدوا الله الذى يعلن أسراره للمستحقين لذلك حسب ماهو مكتوب : « الذين لا يرون ينظرون والذين لم يسمع لا يفهمون » وكان القديس اسحق يتقدم فى الفضائل جميعهـــا وذاع صيته فى كل كورة مصر .

وترك كثيرون العالم ليصيروا رهبـاناً ومنهم « مينسون » الذى كان قبلا سكرتيراً ، فهذا لما سمع أن القديس اسحق ترك العالم مضى هو أيضاً وصار راهباً .

أيضاً آخر يدعى « بني » وهذا كان من عائلة شهيرة وكان صديقاً للقديس اسحق لكنه كان يميل للهراطقـــة الذين فرقوا وقسموا الكنيسة . . . وقد أتى إليه ووعظه وأخـــيراً صار راهباً قديساً .

(١) يوحنا ١ : ٤٧ .

هذه هى الهدايا الأولى ، أبكار الأثمار التى قدمها اسحق للرب .

لكن الشيطان لم يطق أن يرى القديس يتقدم فى الفضائل ، وحدث بينما كان القديس نائماً فى الحقل فى الليل ان شيطاناً نفخ فى أذنيه ، ولما استيقظ من نومه لم يطق الجلوس فانطلق واخبر أباه الروحى بقتاله فتألم كثيراً . ولما لم يكن لدى القديس خبرة بمثل هذا القتال الكبير أرسله إلى ناسك مشهور وهذا جرب كثيرا من الشياطين الأردياء .

ولما رأى الشيخ أخبره بتجربته فقـــال له الشيخ : « يا بنى لا أستطيع أن أقدم لك نصيحـــة بسبب أبيك الروحى لأنك مازلت فى المجمع لكن اذهب اليه ومهما قاله لك أفعله وأنا اؤمن أن الرب سوف يعطيك راحة فى قتالك » فمضى وأخبر أباه بكلام الشيخ فقال له : « أمض ونظف أماكن (١) الاخـــوة ، وأنا اؤمن أن الرب سيهبك الراحة » . أطاع اسحق النصيحة بسلام وفرح لأنه كان دائماً يسعى نحو الاتضاع ومكث فى هذه الأتعاب المتنوعة حوالى ستة أشهر وكان عليه أيضا أن يزود الإخـــوة بالماء ليلا وينظف القلالى ، وبعد انقضاء هذه المدة وبعد هذا الجهاد والتعب

(١) حسب الترجمة « المراحيض » .

الذى تحمله منحه الرب موهبة شفاء الأمراض .

حـــدث مرة أن بعض الإخوة كانوا ذاهبين الى الحقل ليجمعوا حطبا للوقود وبعد الانتهاء من عملهم أخـذوا يسيرون إلى مساكنهم ، وبينما هم فى الطريق استراح القديس اسحق مع الإخوة ، وكان يجمع أزهار الجبل العطرة . وصل إلى شجرة مملوءة أزهارا وإذ بحية التفت حول يده ، ولما رأى الإخوة هذا المنظر أخـذوا يصرخون ويولولون وحسبوا أنه سيموت لتوه لكنه للحال القاها عنه ولم يصب بسوء ، ولما رأى الإخوة هذا الفعل المعجز انطرحوا أمامه .

ترون يا أحبائى أن هذا الشاب صار مشابها للرسل حسبما قاله السيد الرب لتلاميذه : « أن من يحفظ وصاياى فالأعمال التى أنا أعملها يعملها هو أيضا » (١) .

(١) يو ١٤ : ١٢ .

الفصل الثالث

اختباره سكرتيرا وتلميذا لرئيس الأساقفة:

حدث بعد ذلك أن رئيس الأســـاقفة الأنبا يوحنا الثالث البطريرك الأربعين ، كان يبحث عن انسان حكيم ليكون تلميذا وسكرتيراً له ، ولما أخبروه عن القديس اسحق أرسل إلى شيبيت فى طلبه ، فمضى اسحق اليه لأنه ما كان يستطيع أن يخالف أمر الأب البطريرك ، ولما رآه يرتدى ملابس حقيرة سأله : «أأنت اسحق ؟» أجاب فى اتضاع نعم أنا هو .

ثم أن رئيس الأساقفة أمره أن يكتب خطابا ليرى ما إذا كان كفؤا للعمل الذى سيوكل اليه ، فكتب الرســـالة وتعمد رداءة الخط وكثرة أخطائها ظانا أن ذلك كاف لإعفائه من هذا المنصب لأنه كان يرغب فى حياة التوحد ، متشبها بداود الذى تصنع الجنون أمام أخيش ملك جيت عندما أخـــبره غلمانه وقالوا له : « أليس هذا داود ملك الأرض . أليس لهذا كن يغنين فى الرقص قائلات ضرب شاول الوفه وداود ربواته » ، فوضع داود هذا الكلام فى قلبه وخاف جـــداً من أخيش ملك جيت

فغير عقله فى أعينهم وتظاهر بالجنون » (١) .

وبعد ما عرض المختصون الخطاب على رئيس الأساقفة قالوا له : « لست فى حاجة لمثل هذا الرجل » .

ولما بدا الأب البطريرك أن مافعله اسحق إنما فعله عن قصد قال له حسنا ما كتبته يا اسحق ، اذهب واكتب ، وعلى أية حال لن تغادر هذا المكان ، ولما فهم اسحق أنه لن ينال بغيته كتب الخطاب الثانى مرة ، فكان رائعا وعجيبا ، ولما رآه رئيس الاساقفة فرح فرحا عظيماً . . . ثم قال : « كما سمعنا هكذا رأينا ... » (٢) . وقال للذين معه حقا أن ما طلبناه قد فزنا به بقوة الله لأن هذا بالحقيقة هو الرجل الذى نحتاج اليه .

لكن الشاب كان متضايقا لأنه كان عازفاً عن مخالطة الناس ، وكان يلح على الأب البطريرك ليعفيه ولكنه لم يدعه ينصرف وأخيراً قرر أن يبقيه فى الفلاية البطريركية شهرا كل سنة ليتولى كتابة رسائل عيد الفصح ... ويتركه باقى السنة ليسكن فى الصحراء التى أحبها .

---

(١) ١ صم ٢١ : ١٠ ـ ١٢ . (٢) ١ بو ١ : ١ .

تقليد الأنبا زكريا الأسقفيـــة :

حدث بعد هذه الأمور أن أسقف مدينة ، صا ، (١) . تنيح بسلام ، وأختاروا أنبا زكريا معلم القديس اسحق ليجعلوه أسقفا عليها ، وكان القديس يسكن مع الإخوة فى الدير ...

ومرة مضى رئيس مدينة « شبراتينى » (٢) . رجل محب لله يدعى اسحق إلى الأنبـــا زكريا الأسقف وكان له ثقة كبيرة فى قداسة الأسقف ، هذا لما أتى اليه انبأه أنه مرســـل من قبل الحكومة فى مهمة جباية الأموال الأميرية ، وطلب إلى القديس أن يطلب إلى الرب عنه ليعلن له ما سيحدث حتى يدبر بيته - أجاب الأسقف وقال له : « يا بنى لست مستحقا لمثل هذا العمل كما تظن فى ، أجاب الرجـــل وقال : « انى واثق فى الرب أن كل ما تطلبه ســـوف يعطيك إياه » ، ولما جاء المساء قال الأسقف لتلميذه الأنبا اسحق لنطلب سويا فى هذه الليلة حتى يعلن لنا الرب ما سيحدث لهذا الرجـــل . وبينما كانا يصليان بغتة أضاء المكان كله بنور عظيم حتى أن الشيخ لم يحتمل قوته فسقط على الأرض ،

---

(١) سيأتى شرحها .

(٢) شبراتينى بمركز كفر الزيات (السنكسار جـ ، أول ص ٢٤٥) .

أما القديس اسحق فبقى بلا حراك حتى يتبين اعلان الله ، ثم أن ملاك الله اعلمهما بما سيحل على ذلك الرجل .

وأن الأسقف نهض وقال للقديس أن اعمالك الحسنة عظمت جدا يا بنى ، أما هو فأجاب فى اتضاع : « أن الله بصلواتك أعطانى القوة يا أبى » . أجاب الأسقف القديس أنه بسبب طهارته أظهر هذا الاستعلان لأنه مكتوب : « طوبى للأطهار بقلوبهم لأنهم يرون الله » (١) .

بالحقيقة لقد كمل كلام المخلص فى قديسيه لأنه مكتوب : « إن اتفق اثنان منكم على الأرض فى أى شىء يطلبانه فإنه يكون لهما من قبل أبى الذى فى السموات » (٢) .

(١) مت ٥ : ٨ .

(٢) مت ١٨ : ١٩ .

الفصل الرابع

لقاء مع القديسين العظيمين ابرآم وجورجى

بعد أن ترك أباه الروحى الذى صار أسقفا انطلق إلى البرية التى أحبها وفى البرية سكن مع الإخسوة (١) . فكان لهم تعزية ينظرون اليه كمرآة وكأنه بينهم ملاك الرب يعزيهم ويشجعهم ويدعوهم للجهاد .

وكانت من عادته كلما حل صوم الأربعين المقدسة أن يتوحد فى قلاية صغيرة خارج الدير ولايقابل أحدا .

وحدث فى يوم ما أن الأنبا ابرآم والأنبا جورجى (٢) . الناسكين الكبيرين مضيا اليه وقد تكلما وتحدثا بما فيه منفعة النفس وكشفا له أفكارهما وانتفعا كثيرا ، ولما تطلعا إلى داخل قلايته لم يجدا شيئاً إلا القليل من الخبز وملح فسالتهما الدهشة لصبره

(١) يؤخذ من ذلك أن القديس اسحق كان يعيش فى الجمع كراهب ولم يكن متوحدا .

(٢) مذكور اسم كل منهما فى تجمع القديسين فى القبطية وسنذكر سيرتهما مختصرة .

وسألاه ماذا يأكل فى هذه الأيام فأخبرهما أنه يأكل ما يأكل منه الإخـــوة عادة فقالا له : « لكننا لا نرى إلا القليل من الخبز وملح » ، أجابهما أن هذا ما يأكل منه الإخوة فطلبا اليه أن يتقبل قليلا من الزيتون فاعتذر ولم يقبل وقال أنه ينبغى عليه أن يقبل أتعابا قليلة أكثر من الإخوة .

حينئذ غادرا قلايته وهما يتحدثان للجميع عن تنسكه وذاع خبر تقشفه حسب قول الانجيل المقدس « لا يمكن أن تخفى مدينة موضوعة على جبل ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة فيضىء لجميع الذين فى البيت (١) .

واختير مراراً كثيرة للأسقفية لكنه كان يهرب مفضلا أن يعبد الله دائما بغـــير انشغال حسب ما هو مكتوب : « كفوا واعلموا إنى أنا الله (٢) » . لكن الله كان يعده لمركز أعظم .

القديس أنبا ابرآم

كان من الشخصيات البارزة فى عالم الرهبنة فى القرن السابع هو وصديقه القديس جورجى وكانا تلميذين للانبا يحنس قص

(١) مت ٥ : ١٤ – ١٥ .

(٢) مز ٤٦ : ١٠ (والقبطية يتفرغ يخلو إلى نفسه) .

شيهيت، ولد سنة ٦٠٨ م وكان أبوه رجلا محبا للمساكين ، واتفق حدوث غلاء فى أرض مصر فأنفق كل ماله على المساكين ، وأما أمه فكانت خائفة من الله فحسدها الشيطان وأوقعها بيد الفرس (٦١٧ - ٦٢٧) م لتهمة باطلة فأخذوها أسيرة إلى بلادهم ، وذات ليلة رأت فى رؤيا الليل من يقول لها : « ستعودين إلى وطنك » ، وقد تم لها ذلك القول وعادت .

ولما بلغ من العمر حوالى ٣٥ سنة تنيح والده وأرادت أمه أن تزوجه فأبى لأنه كان يرغب فى أن يقدم نفسه قربانا طاهراً لله ومضى إلى برية شيهيت حوالى سنة ٦٤٢ م حيث ترهب عند الانبا يونس قص البرية وصار له ابنا خاصا ، وقد أجهد نفسه بأصوام وعبادات كثيرة .

واتفق للقديس ابرام أن ساح فى الجبل فوجد أنبا جورجى الذى كان راهبا فى جبل « اوريون » ، وتوطدت بينهما صلة الصداقة والمحبة الروحية فترك القديس جورجى ديره وسكن معه فى دير القديس مقاريوس وأقاما معا فى عبادة حارة ونسك زائد إلى أن تنيح الأنبا يحنس قص البرية ، وكانت قلايتهما شهيرة ومعروفة باسم قلاية « بيبج » ، وكانت من معالم شيهيت حتى القرن

الرابع عشر . وقد عاون هو وزميله البطريرك الأنبا بنيامين ٣٨ فى تعمير الكنائس والأديرة .

مرض القديس ابرآم مدة ١٨ عاما ولما قربت ساعة انتقاله طلب أن يتناول من الأسرار المقدسة فناولوه وتنيح بسلام سنة ٦٩٣ م (١). وكان قبره وقبر زميله يزوره كثير من البطارکة الذين كانوا يفدون إلى البرية ، وتعيد له الكنيسة فى ٩ طوبة .

القديس أنبا جورجى

ولد من أبوين مسيحيين قديسين وكان يرعى غنم أبيه ومنذ حداثته مال قلبه إلى الرهبنة . فلما بلغ من العمر أربعة عشر سنة ترك الغنم وقصد برية القديس مقاريوس، وفيما هو سائر فى الطريق تراءى له الشيطان فى زى شيخ وقال له : « ان اباك ظن أن وحشا قد افترسك فشق ثيابه حزنا عليك والواجب أن تعود اليه لتطيب خاطره ثم تعود إلى البرية ، فدهش القديس لذلك وتذكر قول الرب : « من أحب أبا أو أما أكثر منى فلا يستحقنى » (٢) ، وحدث بعد ذلك أن انصرف عنه الشيطان. ثم أن القديس مضى

(١) « أولبرى » ص ٦٣ كتاب « قديسو مصر » .
(٢) مت ١٠ : ٣٧ .

إلى جبل اوربون وترهب هناك ، وحدث أن الأنبا ابرآم مضى لزيارة ذلك الدير فصحبه معه إلى دير القديس مقاريوس الكبير حيث شارك الأنبا ابرآم فلايته حتى تنياحه .

ولما أكمل الآب جهاده الحسن تنيح بسلام بعد تنياحة رفيقه الأنبا ابرآم ، وكانت سنو حياته ٧٢ سنة منها ١٤ سنة فى العالم و٥٨ سنة للنسك والعبادة.

وظلت فلايتهما مكرمة لقرون طويلة بعد تنياحتهما يزورها الكثيرون حتى القرن الرابع عشر وتعيد له الكنيسة فى ١٨ بشنس .

يذكر التاريخ أن البطريرك الأنبا بطرس الخامس لما زار الأديرة فى سنة ١٣٤٠ م انطلق إلى دير القديس مكاريوس الكبير وزار مدافن الآباء البطارکة وبعد الصلاة توجه الموكب نحو مغارة الراهبين القديسين ابرآم وجورجى وصلى صلاة الترحيم، ويذكر أيضا عن الأنبا بنيامين الثانى البطريرك ٨٢ فى القرن الرابع عشر أيضا أنه عند زيارته للاديرة لم يفته زيارة مقبرة هذين القديسين العظيمين .

ويصف لنا التاريخ ما كان يقاسيه الآباء الكبار من المتاعب

فى زيارة الأديرة حيث كان الطـــريق الصحراوى وعراً وشاقاً فيذكر عن البطريرك الأنبا بنيامين الثانى أنه عند عودته من زيارة دير الفديس مقاريوس الكبير إلى مقر كرسيه أنه نام فى الصحراء حوالى ثلاث ساعات قبل منتصف الليل ووصل إلى دير نهيا قرب الجيزه فى الساعة الثامنة صباحا ومنها إلى كنيسة المعلقة بمصر

هذا بلا شك يوضح لنا مدى اهتمام الآباء البطاركة بزيارة الأديرة المقدسة ومركز هذين القديسين وعلو شأنهما بين صفوف الرهبان ، حيث كانت قلايتهما ومدفنهما لمدة من الزمن حتى القرن الرابع عشر مزارات مقدســـة هامة يتبارك منها البطاركة القديسون .

† † † †

الفصل الخامس

عجائبه ونبوءاته

حدث فى أيام الصوم الكبير لخلصنا أن القديس اسحق مضى كعادته إلى مسكنه الصغير ونسى الإخـوة أن يحملوا له خبزا ـ فأمضى اليوم الأول فالثانى فالثالث حتى الخامس بدون طعام ، وفى اليوم الخـــامس لصومه التفت فرأى مائدة موضوع عليها الخبز أمامه وكأنه من التنور ، فنهض لوقته وصلى مقدما الشكر لله وتناول قطعة من الخبز ، وفى الغد حمل الباقى إلى الدير وأعطى الإخوة أيضاً فأكلوا وسأله الإخوة قائلين : « من أين لك هذا الخبز الطرى لكنه أخفى الأمر عنهم ، قائلا : لقد أحضره أحد الإخوة من مصر » ولما تناقش الإخوة معا فيمن عساه يكون قد أحضر الخبز له ، ولم يكن هناك أحد قد أحضره فهموا أن الأمر من قبل الله حسب ما هو مكتوب : « هوذا عبيدى يأكلون وأنتم تجوعون ، هوذا عبيدى يشربون وأنتم تعطشون » (١) ، وأيضا قوله إذا اطعتم تأكلون خـــيرات الأرض . . . . ألم

(١) أشعياء ٦٥ : ١٣ .

يرسل الله لابليا خبزا من السماء حسب المكتوب : « فتطلع وإذا كعكة رضف وكوب ماء عند رأسه فأكل وشرب » (١) .

حدث مرة أن « اوريون » أسقف كرسى « صا » منذ كان قارئا قبل أن يصير أسقفا جاء اليه لينال بركته وكان ذلك فى أسبوع الآلام، وكان من عادته ألا يجلس طول مدة أسبوع الآلام لكنه كان يقف ويعمل بيديه ، ولما جاء اليه وكانت معه الشبكة يعمل فيها قال له: « يا أبى أريد أن أصير راهبا لكن دموع والدى تمنعنى من ذلك» وعندئذ أخذت القديس اغفاءة بسيطة ثم نهض وخاطبه لفوره وقال له أنه ليس ممكنا أن يصير راهباً . وحالما سمع الشاب هذا الكلام ارتعد ، لكن القديس هدأ خاطره وقال له : « لا تخف فقط اذهب واسلك فى طاعة أبيك حتى ساعة وفاته» وأخبره أن الذى كان يتحدث معه فى تلك اللحظة هو الذى أعلمه أنه بعد وفاة والده يرقى إلى هذه الرتبة الرفيعة ، رتبة الاسقفية التى كان مستحقا لها . ولما سمع الشاب هذا الكلام من القديس انطلق إلى بيته بسلام وهو يمجد الله حسب ما هو مكتوب : « وأرواح الأنبياء خاضعة للأنبياء » (٢) .

(١) ملوك أول ص ١٩ : ٦ .
(٢) ١ كو ١٤ : ٣٢ .

الفصل السادس

عجائب الأنبا زكريا معلم القديس وتياضه

بعد هذا مرض الأنبا زكريا الأسقف القديس مرض الموت، ولما قربت نياحته دعى ابناءه جميعهم مثل أب الآباء يعقوب ، ولما باركهم قال للقديس اسحق : « يا ابنى إذا ما ارتفعت تذكر اخوتك » ، وكان يقصد بذلك النعمة التى سوف تدركه بتقلده رياسة الكهنوت ، وبعد ما انتهى من اعطاء نصائحه لأولاده أسلم روحه بيد الرب وكان حوله القديسون بشيبيت فكفنوه بكرامة عظيمة ـ ووضعوه بقرب آبائه .

وإن كنا لا نعرف شيئا عن حياته الأولى إلا أنه يبدو أنه انطلق إلى البرية حوالى سنة ٦٤٢م وسرعان ما تقدم فى الفضيلة حتى أنه لما حضر اليه الأنبا اسحق حوالى سنة ٦٥٢-٦٥٤م كان رئيساً للدير . وأن اسمه يذكر دائما مع الشماس تيشوى، وكان الاثنان من المقربين للقديس العظيم الأنبا بخنس قمص شيبيت ومن أخص تلاميذه، ويبدو أن القديس لم يكث فى الأسقفية طويلا وترجح وفاته حوالى ٦٨٤م (١).

(١) عن ابغلين هوايت .

† قيل عنه مرة أنه كان لديه تلميذ مريض بعينيه ، هذا أتى إلى الشيخ فوضع يديه على رأسه وللحال شفى واسترد بصره ومجد الله ومكث فى طاعة أبيه حتى يوم انتقاله .

† كان أيضا له قريب فى العالم أصابه العمى ، فلما سمع تألم كثيراً وأرسل فى طلبه فأتى اليه إلى جبل شيهيت ، ولما مثل ذلك الأخ الذى كان قد أبصر أمام الشيخ طلب اليه قائلا : « كما أن الله قد رحمنى أصنع رحمة مع أخى هذا » . أما الشيخ القديس فلما رآهما يبكيان تألم قلبه كثيراً ، وبعد أن تناولهما من الأسرار المقدسة أخذ اللفافة التى يمسك بها الكأس المقدس ومس بها وجه الرجل وللحال عاد اليه بصره كأن لم يسبق له مرض بعينيه كلية ، فانطرح أمامه وسجد له ثم انطلق إلى بيته وهو يمجد الله صانع العجائب .

† كان فى مدينة صا الحجر شاب قوى قد أسقطه الشيطان فى خطية لم يعلم بها أحد إلا الله وحده الذى يعرف الخفيات والظاهرات ، وللحال عاقبه الرب كما هو مكتوب بالنبى داود(١) :

(١) مز ٩ : ١٧ .

« الشرير يعلق بعمل يديه » ، ولما نهضوا باكراً وجدوا الشاب ميتاً بلا حراك كالميت فأخذه والداه وأحضراه إلى مكان القديس الأنبا زكريا ، ولما قابلاه خرا أمامه باكيين ليطلب إلى الرب من أجله لكى يعافى ، فسألهما عن الخبر فأجاباه أنهما لا يعلمان . وكان الرب قد أعطه بأمره قبل أن يحضراه ، فقام للحال وصلى لأجله وأنعم الله عليه بالشفاء كأن لم يكن به مرض البتة ، وقال له الأسقف احترس من الوقوع فى الخطية التى صنعتها ولا تصنعها فيما بعد حتى لا يصيبك هذا الشر . . . ولما سمع أبواه هذا الكلام تعجبا من أجل ما قيل له ولم يعلما ما الذى فعله إياهما وقالا للشيخ : إننا نحفظ كل ما قلته لنا ، وخرجا من عنده وهما يمجدان الله وكان الجميع يكرمونه كما كانوا يكرمون رسل المسيح القديسين .

† † † † †

ينبغى عدم الخلط بين هذا القديس الذى عاش فى القرن السابع وبين سميه القديس الأنبا زكريا الذى كان فى أيام القديس مكاريوس الكبير فى القرن الرابع والذى نورد سيرته مختصرة .

ورد فى سيرة الأنبا زكريا أن القديس مكاريوس سأله وهو

ما زال حدثاً : « قل يا زكريا من هو الراهب الحقيقى ؟ » قال له زكريا : « يا أبى أ إياى تسأل ؟ » قال له الشيخ : « نعم يا إبنى زكريا فإن نفسى متيقنة بالروح القدس الذى فيك ، إن شيئاً يقتضى بلوم أن أسألك عنه فقال له الشاب : « إن الراهب هو ذلك الإنسان الذى يرذل نفسه ويجهد ذاته فى كل الأمور » .

وهذا القديس هو الذى رآه مرة أنبا موسى الأسود وهو يستقى ماء على البئر وكان يصلى وروح الله حال عليه وقال عنه أنبا موسى الأسود أنه لما حضرت أنبا زكريا الوفاة سأله قائلا : « أى الفضائل أعظم يا إبنى » فأجابه « على ما أراه يا أبتاه ، ليس أفضل من السكوت » فقال له : « حقاً يا إبنى بالصواب تكلمت » .

وفى وقت خروج روحه كان أنبا أبيفانوس القس جالساً فنظر السماء مفتوحة وقال : « أخرج يا إبنى زكريا فإن أبواب ملكوت السموات قد فتحت لك . . .

هذا هو موجز لحياة هذا الأب القديس الذى قال عنه أبوه : « إننى تحملت تعباً كثيراً فى الجهاد ولم أصل إلى رتبة إبنى زكريا الذى كان ممتازاً فى الاتضاع » .

عندما دخل البرية كان عمره سبع سنوات وقضى ٤٥ سنة راهباً . وتنيح له الكنيسة فى يوم ١٣ بابه ، وسيرته فى السنكسار وفى البستان بركة صلواته فلتكن معنا آمين ؟

الفصل السابع

رسامة الأنبا اسحق

خلفاً للأنبا يوحنا الثالث البطريرك الأربعين

بعد شهر من تاريخ نياحة الأنبا زكريا أبيه الروحى كان الأنبا اسحق لم يزل فى ضيقة بسبب فراق أبيه لهذا العالم الزائل ، وطلب القديس الأنبا يوحنا رئيس الأساقفة فى مرضه أن يكشف له الله عن المستحق لهذا المركز ليخلفه فيه وليتسلم رعاية الكنيسة المقدسة ، ثم أرسل فى طلب القديس أنبا اسحق ، ولما حضر لم يدعه ينصرف حتى يوم نياحته (١) .

وتقول المخطوطة :

« . . . وفى تلك الأيام أرسل الوالى عبد العزيز فى طلب

(١) كتب القديس اسحق سيرة البابا البطريرك يوحنا السمنودى .

رئيس الأساقفة لمقابلة خاصة وكان يفعل هـذا مراراً كثيرة بدافع المحبة التي يكنها له في قلبه ، وكان الوالي عبد العزيز كاتمان للسر هما أثناسيوس واسحق ، وكان مقرباً إليه بالبلاط كثير من المسيحيين . . .

« . . . ومرض رئيس الأساقفة البطريرك يوحنا مرض الموت ، ولما سمع أراخنة الشعب أتوا إليه جميعاً لكي يفتقدوه ويأخذوا بركته ووجدوه في حالة مرض شديدة .

« ولما أعلموا الوالي بأمره أطلقه ومضى إلى الاسكندرية حيث رقد بسلام ووضعوا جسده في كنيسة القديس مرقس في المقبرة التي كان قد بناها لنفسه ، وكان قد أوصى قبل نياحته أن يحل مكانه « اسحق » حسبما أعلمه الرب » .

خلاف حول الرسامة

وتقول المخطوطة أيضاً :

« وكان هناك شماس يدعى « جرجس » يشتهي رياسة الأسقفية ضد إرادة الله ، هذا الذي من قبله الملوك يصيرون ملوكاً ، واستمال قلوب الأساقفة المجتمعين لكي يقدموه لرئاسة الأسقفية

لكنه لم يعلم قول الرب : « في قلب الانسان مشورات كثيرة ولكن مشورة الرب هي التي تثبت » ، ولما أقاموه قسراً وألبسوه وهم يظنون أنهم يقيمونه رئيساً للأساقفة في ذلك الأسبوع يريدون بذلك أن يعملوا أعمالا مخالفة للقانون بإتمام الرسامة في غير يوم الأحد ، صرخ رئيس الشمامسة في وسط مذبح الله كمن هو مسوق بالروح القدس وكان يقول لا يحق أن نعمل أمراً مخالفاً لقوانين الكنيسة لكن لننتظر حتى يوم الأحد .

وهذا ما قضى به الله لمنع رسامته على الإطلاق ولتتعطل رسامته نهائياً حسب ما هو مكتوب : « رجل الدماء والغش يكرهه الرب » (١) .

« وفي ذلك اليوم جاء إلى الاسكندرية كبار الأساقفة بعد أن علموا بنياحة رئيس الأساقفة ليرسموا الذي إختاره المسيح وهو القديس اسحق فوجدوا آخرين مقاومين لهم ومتفقين مع « جرجس » ، وكان إنقسام بينهم ، فوفد إلى الاسكندرية رسل من قبل الوالي يطلبون الأساقفة لمقابلته حتى يعرف من الذي سيقيمونه رئيساً » .

(١) مز ٥ : ٦

فى بابليون بمصر القديمة :

ولما وصلوا إلى بابليون (١) وكانوا قد تصفحوا حياة « جرجس » ووجدوا أن له أخطاء سابقة وأنه كان متزوجاً وأن له أولاداً أشاروا قرروا رسامة الذى أختاره الله وهو القديس اسحق .

كان لهذه المدينة شأن كبير كعاصمة ومقر الحكومة وازدادت المدينة فى الاتساع والأهمية وأصبحت معروفة باسم القاهرة الحالية .

وكان لمدينة بابليون أسقف وبعد الفتح العربى حل كرسى مصر محل كرسى بابليون فيذكر لنا التاريخ أن الأنبا ليؤدوسيوس كان مطراناً لمصر سنة ٧٤٣ م ، وأن بيعة دير مارمينا بمصر القديمة كرست بيد الأسقف أنبا مرقس أسقف مصر ، وأن كنيسة الأربعة حيوانات الغير المتجسمين بمصر القديمة أعيد بناؤها فى سنة ١١٧٦ م . وكرسها الأنبا غبريال أسقف مصر .

وكانوا ينتخبون البطريرك فى الاسكندرية لكن بعد رحلة البابا يوحنا الثالث البطريرك (٤٠) فى القرن السابع ، صدر أمر يقضى فيه على الأقباط ألا ينتخبوا بطريركهم إلا فى بابليون بدلا من الاسكندرية ومن ذلك الحين لغاية القرن الحادى عشر والطاركة ينتخبون ببابليون ولكن رسامتهم تتم فى كنيسة الأنجيليين بالاسكندرية .

ويذكر التاريخ أنه إنعقد مجمع فى بابليون فى سنة ٦٩٠م إيام البطريرك الأنبا سيمون (٤٢) للنظر فى موضوع الطلاق وكان مكوناً من ٦٤ أسقفاً (عن ص ٥٦ *Christian Egypt, Fowler*) .

وحدث فى يوم الأحد بينما كان جميع الأساقفة وشعب كثير من بابليون والاسكندرية وكل كورة مصر مجتمعين فى كنيسة القديس سرجيوس بمصر القديمة (١) دخل القديس اسحق لابساً ملابس حقيرة وبينما كان يصلى إنكسر فجأة قنديل فى الكنيسة أغرق اسحق زيتاً وللحال صرخ الشعب مستحق . . . مستحق . . . مستحق ، هذا هو الرسول الثالث عشر أسحق رئيس

---

(١) كنيسة القديس سرجيوس هى بمصر القديمة والوصول إليها عن طريق السكة الحديد من باب اللوق إلى محطة مارجرجس ، هذا بخلاف طريق الأتوبيس ، وهى المعروفة « بأبى سرجة » من أقدم كنائس مصر وتمتاز بأنها من الأماكن التى هربت فيها العائلة المقدسة . ويحتمل أن تكون بنيت فى زمن بطريركية الأنبا يوحنا الثانى (٥٠٥ ـ ٥١٦م) .

وفى هذه الكنيسة أنتخب القديس « الأنبا اسحق » وهذه أول مرة ينتخب فيها البطريرك فى هذه الكنيسة .

ويذكر التاريخ أنه إنعقد مجمع الأساقفة فى كنيسة أبى سرجه بمصر القديمة لأنتخاب البطريرك الأنبا شنوده الـ ٥٥ فى سنة ٨٥٩م كما أنتخب البطريرك الأنبا أبرآم السريانى الـ٦٢ فى سنة ٩٧٧ م ـ وقد تهدمت هذه الكنيسة وحرق جانب من السقف وأعيد ترميمها فى سنة ١١٧١م.

ومن قصة إنتخاب القديس الأنبا اسحق البطريرك فى القرن السابع لنستطيع أن نعرف مقدار قدم هذه الكنيسة التى بها أهم الآثار وهى المغارة التى هربت فيها العائلة المقدسة .

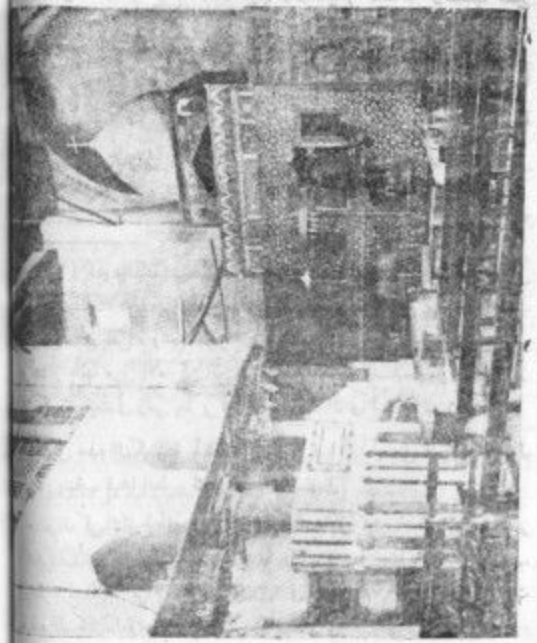

الكنيسة التى أنتخب فيها القديس (كنيسة القديس سرجيوس

الأساقفة ، وكانت هذه لديهم كعلامة من السماء . . . وصار فى هذا اليوم فرح عظيم وكانوا يصرخون قائلين : « مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك »(١) .

وفى الغد أعلنوا الأمر للوالى وأخبروه بما حدث وبما قر عليه الرأى فأمر أن يحضر الإثنان أمامه ، ولما حضرا أمامه رأى « جرجس » يرتدى ملابس الكهنوت بينما كان القديس اسحق فى زى الرهبان البسيطة ، فقال للأساقفة وللشعب من من الاثنين تريدانه فأجابوا جميعهم هذا الراهب هو أبونا لكنه قال لهم إنه رجل مسكين وللحال صرخ الأساقفة والأراخنة : « هذا هو نبى الله ، يتولى طاهر منذ صباه » ، وكان جرجس يقول : « أعطونى كرسى رياسة الأسقفية لأجزل لكم الأموال » ، ولما سمع الأساقفة والجمع ذلك قطعوه قائلين : « لستكن فضتك معك للهلاك لأنك ظننت أن تقتنى موهبة الله بدراهم (٢) » ، وهكذا قطعه الأساقفة وجعلوه غريباً عن الكهنوت ، وتم فيه المكتوب : « فتح حفرة فسقط فى الهوة التى صنع »(٣) ، وأيضاً قوله : « من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع »(٤) .

(١) مز ٤٥ : ٨ . أع ٨ : ٢٠ .
(٣) مز ٧ : ١٦ . (٤) لو ١٨ : ١٤ .

وهكذا بتزكية الله وبموافقة الشعب (١) رفع القديس اسحق إلى مركز الرياسة فى كرامة عظيمة ـ ورسم رئيساً للأساقفة وكان الفرح عظيماً فى كورة مصر من بابليون حتى الاسكندرية .

ولما وصلوا إلى الاسكندرية خرج جمع كثير لاستقبال القديس الأنبا اسحق ، وكان رجال الأكليروس يحملون الأناجيل والصلبان وبخور ـ وكانوا يرتلون أمامه حتى داخل المدينة .

وهكذا رسم رئيساً للأساقفة فى اليوم الثامن من كيهك فى الأحد وأجلسوه على كرسى مار مرقس الرسول الذى أضاء علينا وتمت الرسامة حسب القوانين الرسولية (٢) .

وبعد ما أخذ سلطان الحل والربط إنتشر ضياؤه فى كل العالم، ووضع للأساقفة قانوناً للاقامة فى هيدوه فى مراكزهم يعكفون على تلاوة الكتب المقدسة ويكونون فى شركة واحدة مع بعضهم

(١) الرسامة يجب أن تتم برضاء الشعب كله وموافقته وهذا ما تم بالنسبة لهذا الأب .

(٢) قدم على الكرسى فى بيعة الإنجيليين التى سيأتى ذكرها لأن فيها كانت تتم الرسامة فى القرنين السابع والثامن، وفى هذه البيعة سيم البابا الأنبا سيمون البطريرك ٤٢ .

البعض ، وكان يتحدث معهم مراراً كثيرة مثيراً فيهم الغيرة لحياة آباء برية شيهيت القديسين .

ولما علم الأساقفة الآخرون ورهبان الأديرة أن القديس أنبا اسحق صار رئيساً للأساقفة جاءوا إليه مقدمين الخضوع له لأنهم كانوا على بينة من حكمته البالغة ونسكه وصار نموذجاً يحتذى به فى الأعمال الصالحة .

عرض أقوال بعض المؤرخين حول الرسامة :

أوضحنا سابقاً ما ذكرته المخطوطة القبطية ونثبت هنا ما ورد فى كتاب تاريخ البطاركة (فى سيرة القديس الأنبا اسحق) للقديس ساويرس بن المقفع طبعة *Evetts* حيث جاء فيه :

« . . . وما أن مضى الأنبا يوحنا إلى الرب بالتذكار المجيد حتى إجتمع الأساقفة وكان مقدمهم أسقف النيل اغريغوريوس ويعقوب أسقف أرواط ويوحنا أسقف نيقيوس وجماعة من الأساقفة والشعب المسيحى وتشاوروا مع كهنة الاسكندرية وأشركوا معهم الكاتب المتولى واتفقوا فى أن يقدموا الشماس « جرجه » الذى كان من سخا بطريركاً بغير مشورة الأمير عبد العزيز وقالوا إن هو وجد علينا قلنا أن الأنبا يوحنا أوصى به .

وأقسموه قسماً وألبسوه إسكيم الرهبنة ثم نادوا فى البيعة أن فى غد يقسم البطريرك وسهوا عن قول الكتاب ، الرب يغدر آراء الامم ويبطل أفكار الشعوب ويوقف أمور الملوك ، ولما كان بالغداة . . . كانوا مجتهدين فى اصلاحه (رسامته) واجتمعوا بارشيدياقن المدينة وكان اسمه مرقس وكان رجلا فهيماً فاضلا مميزاً فى المدينة فنعمهم وقال إن لم تحضروا يوم الأحد على ما جرت به العادة فى القوانين ويجتمع أهل المدينة لا يمكن رسامته ، وهذا أمر من الله ليقدم من إصطفاه أولا وهو أبا اسحق من أهل شبراء فلما كان بالغداة وصل قوم من أصحاب الأمر وقالوا أين الذى أرسموه بطريركاً وأين الاسافقة والكهنة . . . فمضوا بهم إلى مصر . . . فلما كشفوا الأمر وجـــدوا أنه ليس الذى قال عنه الأنبا يوحنا فى حياته ، فغضب الأمير عبد العزيز وأبطل أمر « جرجه » وأمر بتقديم اسحق ، وكان الأمر من الله فمضى به الاسافقة وأوسموه وجلس على الكرسى ثلاث سنوات » .

وذكر مثـــل ذلك فى كتاب تاريخ الكنيسة للقس منسى يوحنا ص ٣٨٦ و ٣٨٧ .

وذكر كتاب الجريدة النفيسة الجزء الثانى ص ٧٩ ... ولما

توفى البطريرك الأنبـــا يوحنا الثالث وقع نزاع بين الشعب والاسافقة بسبب إختيار خليفة له فاختار الفريق الأول جورجى أحد الشمامسة وقصدوا أن يتموا رسامته فى وسط الأسبوع فاعترضهم رئيس الشمامسة محتجاً عليهم بأن الرسامة الاسقفية لا تجوز فى غير يوم الأحد فتوقفوا ، وقبيل حلول يوم الأحد حضر إلى الثغر معظم الاسافقة ولما أختبروا ذلك الشماس المرشح وجدوا أنه غير مستأهل لهذه الرتبة فعدلوا عن إنتخابه وعولوا على صاحب الترجمة ، فشار الحزب الأول مصمماً على رسامة الشماس المذكور ثم تصالح الفريقان على ان يعرضوا المسألة على الوالى عبد العزيز فسار من كل فريق وفد إلى الفسطاط وكانت عاصمة مصر فنظر الملك فى الأمر ، وأمر بأن تكون الرسامة لصاحب الترجمة وعندئذ حاول عبثاً ذلك الشماس أن يجذبه الاسافقة بالعطايا فلم يفلح . . .

† † † † †

الفصل الثامن

عرضه ومناقشة قوانين الرسامة

تبين من أمر الخلاف أن الشماس « مرقس » كان له موقف يدل على الشجاعة والغيرة المقدسة نحو بيت الله . لما رأى أمورا تجرى فى البيعة على خلاف ما تقضى به القوانين انتفض انتفاضته وغار غيرته المقدسة فوقف فى وسط الكنيسة يصرخ ويعلن أنه لن تتم رسامة ضد القوانين ، وكان من جـــراء ذلك أن ابطلت الرسامة وعوقب مشتهى البطريركية بالسيمونية .

فهل لرئيس الشماسة مثل هذا الحق ؟

نعم . من حقه الا يقف صامتا يرى بعينيه أمورا ضـــد القوانين : فى طقس رسامة رئيس الشماسة يقول الأسقف فى الطلبة الطويلة الخاصة به « ... ويعلم الجهال ويبكت غير المتأدبين ويقهر المخالفين ... ويأمر بما ينبغى ، ويكون مثالا لجميـــع الكنيسة ... » (١) .

(١) ص ٧٠ من كتاب الرسامات طبعه ١٩٥٩ .

وفى طقس سيامة البطاركة له دور هام ، تبتدىء الصلاة يوم الأحد طبقا للقوانين الكنسيه ... ويقفل باب الكنيسة وتعطى المفاتيح لرئيس الشماسة ليقف ببابها فى انتظار البطريرك الجديد ليسلمها له ، وحال وصول السيد البطريرك يتقدم رئيس الشماسة اليه ويسلمه المفاتيح .

وله طلبات خاصة يقولها وعند وضع اليد يصرخ ويقول : « هلموا جميعا أيها المطارنة والأساقفة وضعوا أيديكم على أبينا المختار من الله ، فيضعون أيديهم عليه . . وعندما يلبسونه الملابس الكهنوتيـة ، فى كل مرة يلبسونه قطعة من (البدلة والبطرشيل والمحارم والكم الأيمن والكم الأيسر والبرنس والتاج) يتلو صلاة خاصـــة .

لكن هل هذا الحق لرئيس الشماسة فقط أو لرجـــال الإكليروس فقط أو أنه طبقا للقوانين حق لكل أحد ، وماذا يحدث لو اعترض على الرسامة حتى من فرد واحد فقط ؟

الرسامة يجب أن تتم برضاء كل الشعب

ورد فى كتاب الدسقولية الباب ٣٦ ص ١٩١ .. « والأسقف يقام فى يوم الأحد وكل الناس متفقون على اقامته . . .

وورد فى كتاب مصباح الظلمة لايضاح الخدمة ص ٥٠ فى باب تكريز البطريرك :

« إن كان لابسا شكل الرهبان والا فليصل عليه أولا جميع الصلوات التى للاسكيم ويلبسونه جميع اللباس الملائكى (التراج . القلنسوة والاسكيم الجلد والمنطقة الجلد على حقويه وبعدها المزرة) ثم يترك إلى يوم الأحد فيقام فى يوم الأحد ... »

وفى صورة تقليد رياسة الكهنوت (ص ٢٥٥ - ٢٦٣ المرجع المذكور) « ... طالبين بحرقة فى سهر الليل بلا نوم لكى يكشف لنا من هو مستوجب أن يكون وسيطا لتقدمه على درجة الرتبة الكهنوتية ... » .

ونقول القوانين : (١) فى نصوص صريحة لا لبس فيها ولا غموض ما يلى : -

ا - فى حالة ما إذا تقدم شخص واحد واعترض على الرسامة تؤجل ثلاثة شهور .

« فان تعرض له » للاسقف « أحد وذكر عنه أنه لايصلح للاسقفية فليؤخر أمره ثلاثة أشهر وينكشف عنه فيها بمحضر من

(١) كتاب مجموع القوانين طبعة سنة ٩٢٧ ص ٣٢ و ٣٣ .

خصمه أو فى غيبته فإن ثبت عليه سبب يمنع فى القوانين من تقدمته منع والا فليقدم . أما خصمه الذى قرفه ولم يثبت عليه ما ذكره ، ان كان كاهنا فليبعد من البيعة وان كان من الشعب فليؤدب كما يجب » .

ب - إذا وافق الجميع تتم الرسامة

« ... واذا رضيه الكل فليجتمع كل الشعب والقسوس والاساقفة فى يوم الاحد ، وليسأل الكبير الذى فيهم القسوس والشمامسة ويقول : « أهذا الذى ارتضيتموه أن يكون رئيسا لكم ؟ » فإذا قالوا نعم ، فليسألهم أيضا ويقول . هذا يستحق التقدمة الجليلة وأقام سيرته صحيحا لم يوجد عليه شىء فإذا أجاب كلهم وقالوا أن هكذا بحق وليس برياء فليسألوا أيضا ثالث دفعة ، هل هو مستحق لهذه الرياسة لكى تثبت كل كلمة من فم اثنين أو ثلاثة فإذا قالوا فى ثالث دفعة أنه مستحق فليصافحوه كلهم ... فإذا قبله كلهم (كل الشعب) قبله الرب » .

جـ - وفى طقس رسامة الأسقف (ص ١٩٤ كتاب الدسقولية طبعة سنة ١٩٤٠) .

« ... ويقـــول كل الاكليروس والشعب مستحق مستحق مستحق ».

وفى هذا اعتراف صريح من الشعب والاكليروس كله أمام هيكل الله باستحقاق من تقدم للرسامة ، وتأييد هذه الرسامة .

الفصل التاسع

شماسان لهما موقفان متناقضان

الشماس « مرقس »

ⲟⲩⲟϩ ⲉⲧⲁⲩⲁⲓϥ ⲙ̀ⲡⲣⲉⲥⲃⲩⲧⲉⲣⲟⲥ. ⲁⲩϯ ϩⲓⲱⲧϥ ⲛ̀ϯ ⲥⲧⲟⲗⲏ. ⲉⲩⲙⲉⲩⲓ ⲛⲁϥ ⲡⲁⲣⲭⲏⲉⲡⲓⲥⲕⲟⲡⲟⲥ ϧⲉⲛ ⲑⲙⲏϯ ⲛ̀ϯⲉⲕⲕⲗⲏⲥⲓⲁ. ⲉⲧⲟⲩⲱϣ ⲉⲑⲁⲛⲛⲟ' ⲟⲩϩⲱⲃ ⲡⲁⲣⲁ ⲛⲓⲕⲁⲛⲱⲛ.

ⲥⲁⲧⲟⲧϥ ⲁϥⲱϣ ⲉⲃⲟⲗ ⲛ̀ϫⲉ ⲡⲓⲁⲣⲭⲏⲇⲓⲁⲕⲱⲛ ⲉ̀ϫⲉⲛ ⲡⲓⲙⲁⲛⲉⲣϣⲱⲟⲩϣⲓ. ϩⲱⲥ ϫⲉ ⲁⲩⲕⲓⲙ ⲉ̀ⲣⲟϥ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ϩⲓⲧⲉⲛ ⲫϯ. ϫⲉ ⲙ̀ⲡⲉⲥϣⲱⲡⲓ ⲙ̀ⲡⲁⲓⲣⲏϯ. ⲉⲩⲉⲣⲉⲛⲡⲓ ⲛ̀ⲟⲩϩⲱⲃ ⲡⲁⲣⲁ ⲛⲓⲕⲁⲛⲱⲛ. ⲁⲗⲗⲁ ⲙⲁⲣⲉⲛⲟϩⲓ ϣⲁ ϯⲕⲩⲣⲓⲁⲕⲏ.

الترجمة : « ولما أقاموه (الشماس جرجس) قسا وألبسوه ظانين أنهم يقيمونه رئيسا للأساقفة فى ذلك الأسبوع مريدين

بذلك أن يعملوا أعمالا مخالفة للقانون باتمام الرسامة فى غير يوم الأحد ، صرخ رئيس الشمامسة (مرقس) فى وسط مذبح الله كمن هو مسوق بالروح القدس وكان يقول لا يحق أن نعمل أمرا مخالفا لقوانين الكنيسة لكن لننتظر حتى يوم الأحد » .

انما نجد موقف هذا الشماس الجرىء فى الحق الشجاع « مرقس » . لقد كان مركزه حرجاً للغاية - كان الشماس الآخر المتهتر يعاونه بعض الأساقفة ، وكانت المراسيم تجرى داخل الكنيسة لسيامة قسا وتمت رسامته بالفعل ... ، أكثر من هذا أنهم ألبسوه الاسكيم (١) . ونودى فى الكنيسة أنه فى الغد يرسم بطريرك وكان الشعب أمام الأمر الواقع .

وبالرغم من حضور بعض مشاهير الأساقفة الذين لهم حق الرياسة كما يقول كتاب سير البطاركة لساويرس بن المقفع - الأنبا يوحنا أسقف نيقيوس والأنبا اغريغوريوس أسقف القيس (بنى مزار) - لم يهب الشماس الموقف ولم يخش عما سوف يتعرض له ، لكنه فى وسط الكنيسة وفى وسط الجمع الزاخر وفى وسط الأساقفة وبعد الرسامة لدرجة قس ، أكلت الغيرة قلبه وصرخ معلناً أنه لن تتم رسامة مخالفة للقوانين الكنسية .

(١) لباس الاسكيم يسبق حفلة الرسامة للاسقفية .

فى هذا الشماس تتمثل البطولة والقوة والشجاعة ، أنه بمفرده لم يبال بشيء الا المجاهرة بالحق ولم يخش فيه شيئا .

لقد سجل التاريخ له ذلك الحادث بالفخر وحيثما يذكر اسم ذلك الشماس يقترن اسمه بالبطولة والشهامة والجرأة ... فقد أعطى بموقفه هذا درسا نافعا لتنادى جهرا بالحق ولو كنا وحدنا ندافع عنه بما أوتينا من قوة ولا نخشى الا الاثم والخطية ...

ونرى القديس العظيم الأنبا ابرآم أسقف الفيوم المتفيح فى ١٠ / ٦ / ١٩١٤ يقف بمفرده فى المجمع المقدس ينادى بالحق حتى خلص كاهنا من حكم مجحف يقضى بتجريده .

لقد كان صريحا إلى أقصى حدود الصراحة، لاينظر فيما يقول إلا إلى الحق لذاته ، تضاءلت عنده هيبة العظماء أمام هيبة الحق وجلاله حتى كان الآباء والأساقفة يتقون غضبه ويتمنون رضاه .

تقول القصة أنه حدث أنه دعى ليحضر إلى المجمع الذى انعقد لمحاكمة كاهن ما بتهمة سماحه لأسقف مجرد بالدخول إلى كنيسته واستضافه عنده بالمنزل ، وكان الآب البطريرك يرأس المجمع وقضى الجميع بإدانة القس ، وكان الأنبا ابرآم حاضرا فلما وصله وثيقة الاتهام وقرأها قال: أنا لا أرى سبباً فى اصدار هذا الحكم. ألم يأمرنا السيد المسيح بإضافة الغرباء والمساكين ؟ . . . ثم قام

وترك غرفة الاجتماع ونزل إلى الدور الأسفل وتبعه أحد الأعضاء وهو يلح ويقول : « ان الآب البطريرك يطالبك » ، فأجابه : « حى هو اسم الرب أنى لن أصعد هذه السلالم أبدا ما لم تأتوا إلى بوثيقة الاتهام وتمزقوها أمامى » ، وفعلا تم له ما أراد وعفى عن الكاهن » .

القديس الأنبا ابرآم

الرجـــة :

« للحال صرخ الأساقفة والأراخنة هذا (القديس اسحق) هو نبي الله ، بتول طاهر منذ صبـــاه ، أما « جرجس » فكان يقول : « أعطني كرسي رياسة الاسقفية لأجزل لكم الأموال » ولما سمع الأساقفة والجمع ذلك قطعوه قائلين : « لتكن فضتك معك للهلاك لأنك أردت أن تقتني موهبة الله بدراهم » وهكذا

قطعه الأساقفة وجعلوه غريباً عن الكهنوت، وتم فيه المكتوب: « فتح حفرة فسقط في الهوة التي صنعها » وأيضاً قوله : من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع » وهكذا بتزكية الله وبموافقة الشعب رفع القديس اسحق إلى مركز الرياسة ».

ابطلت رسامة الشماس جرجس الذى تملك القسيسية وقرر مجمع الأساقفة تجريده من الرتب الكهنوتية .

تقول القوانين :

(١) أسقف أو قسيس أو شماس يملك هذه الدرجة رشوة فليقطع ويقطع الذى قسمه ولا يشارك جملة كما فعل سيمون الساحر من جهتى أنا بطرس (رسطح ٢٠ نيقية ٥٣ ، بس ٤٥) المجموع الصفوى ص ٥٠ .

(٢) « ... أو وعـــد رشوة حتى يصير فى ذلك بالكلية فلا تقبل رئاسته ... » (رسطا ٢٨ المجموع الصفوى ٥٠) .

(٣) « ... يقطع كل قسيس تملك القسيسية برشوة أو جاه أو حيلة أو وعد برشوة ... » المجموع الصفوى ص٦٠ .

† † † † †

طقوس الكنيسة في رسامة البطريرك

ولنرجع معا لنرى الطقوس القديمة العهد التي كانت تمارسها الكنيسة أثناء الرسامة وما بعد الرسامة :

رأس مار مرقس :

كانت بقايا جسد القديس مرقص الرسول مدفونة في الكنيسة القديمة لمار مرقس ، وحدث أثناء محاولة البعض سرقة رأس القديس مرقس والاقلاع بها خارج الاسكندرية أن وقفت السفينة وبتفتيشها وجد بها رأس القديس واعلم البابا بنيامين الأول البطريرك ٣٨ (في القرن السابع) بالخبر ، وحالما رفعت الرأس من السفينة أقلعت للحال ، وجميع الذين شاهدوا هذه الأعجوبة كانوا يمجدون الله ، وقيل أن عمرو بن العاص عندما قص عليه البطريرك هذه المعجزة أعطاه ١٠٠٠ دينار لكي يبني بها كنيسة احتراما للرأس وسميت بالمعلقة وكانت قائمة جنوبي الاسكندرية . وعاد البابا بنيامين الى المدينة والرأس في حضنه وصنع لها تابوتا من الأبنوس وبنى عليها بيعة ... ومن ذلك الوقت صار البطاركة الذين يرسمون يضعون الرأس أمامهم وقت التكريس مغطاة

بغطاء جديد ويقدمونها للشعب لتقبيلها، وفيما بعد جدد هذه البيعة البابا يوحنا السمنودي البطريرك الأربعين .

وأخيراً لما جلس البابا بطرس الـ ١٠٤ (١٧١٨ - ١٧٤٥م) واحتضن الرأس وعلم أن هناك من يحاولون سرقة الرأس أمر بحفظها بكل عناية في ضريح البطاركة بالاسكندرية (١) .

الوشاح الكفني :

الوشاح الكفني للشهيد العظيم مار مرقس حفظ في كنيسة الاسكندرية إلى القرن السادس وهو وشاح القديس نفسه - وجميع البطاركة الذين جلسوا على كرسي البطريركية بعده كان يلتزم كل منهم بعد الرسامة أن يضع في عنقه الوشاح المشار اليه (٢) .

استلام الصليب :

في تاريخ البابا يوحنا ١٧ البطريرك ١٠٥ في القرن الثامن عشر يذكر عند رسامته أنه منع عادة استلام الصليب من يد السلف ميتا لأنه فزع منه ... (٣) .

(١) و (٢) و (٣) عن تاريخ الكنيسة لمنسي يوحنا .

تجليس الآب البطريرك فى دير القديس مقاريوس

من ضمن ما أمتاز به دير القديس مكاريوس عن سائر الأديرة الأخرى أنه اتخذ فى القرن السادس مقراً للكرسى البطريركى بعد أن أصبح متعذراً على البطريرك الاسكندرى مباشرة أعماله فى الاسكندرية بسبب اضطهادات الخلقيدونيين - وكان يجب على الآب البطريرك أن يأتى إلى دير القديس مكاريوس ليجلس على كرسيه حيث يؤدى ثانى قداس بعد القداس الأول الذى يقيمه بالاسكندرية عقب رسامته .

وقد ظلت هذه العادة زمنا طويلا فى تاريخ البطاركة الآبا مقار الثانى الـ ٦٩ (١١٠٢ - ١٢٩ م) يذكر أنه على أثر رسامته فى الاسكندرية ذهب إلى مصر مباشرة حيث دعاه الأساقفة إلى رفع القربان فى كنيسة المعلقة فثار رهبان دير القديس مكاريوس لمخالفة ذلك لعادة البطاركة السابقين الذين كانوا يرفعون أول قرباناتهم فى ديرهم ويتنازعوا مع الأساقفة والأراخنة وألحوا طالبين عدم انقطاع عادة ديرهم فأجابوهم إلى طلبهم وأخذوا البطريرك وانطلقوا به إلى دير أبى مقار واحتفلوا به احتفالا عظيما .

ولقد ذكر المقريزى الذى عاش فى القرن الخامس عشر هذه العادة مما يدل على أنها تأصلت لزمن طويل .

الفصل العاشر

مواهب الروح القدس (١)

بعد رسامة القديس الأنبا اسحق بطريركا أنعم الله عليه بموهبة شفاء الأمراض من كل نوع . وفى كل مرة كان يصعد إلى المذبح ليقرب ، من وقت أن يبدأ القداس حتى تمام الخدمة كانت الدموع تنهمر من عينيه ، ولما كان يصل إلى وقت طلبة الروح القدس كان يعاين الروح القدس نازلا على الذبيحة ...

وعندما كان هذا القديس يرى هذه الإعلانات كان يلحقه خوف وفرح وكان وجهه يضوء حتى أن جميع الناس كانوا يتعجبون قائلين حقا لقد جعلنا الله مستحقين لقديس طاهر كهذا، وكان عقله مضيئا بالحكمة المقدسة مثل المعظم اثناسيوس والحكيم كيرلس و ... هؤلاء الذين صار القديس اسحق لهم خليفة .

(١) عن المخطوطة القبطية .

ثم أن القديس ما لبث أن رد كثيرين من الهراطقة وأدخلهم إلى الإيمان الحقيق بربنا يسوع المسيح وعمد آخرين وقبل في الكنيسة كثيرين ، بينما دحض البدع والهرطقات بالنعمة التي منحه الرب إياها وبكلماته التي خلصت النفوس وفي قرية « بساناشو » (١) عمد كثيرين من الرجال والنساء كباراً وصغاراً .

حدث مرة وقت الغذاء وهو جالس مع الأساقفة أن احضروا اليه رجلا مريضا جدا مع حرارة شديدة في الاعضاء مهما شرب لا يرتوي ولو شرب وعاء كبيرا مملوءاً بالماء فكأنه لم يشرب شيئا بسبب الحرارة الشديدة في جوفه . ولما قدموه اليه رفع عينيه إلى السماء وتنهد قائلا : « عادل أنت يارب وكل أحكامك مستقيمة » ثم أن الآب البطريرك أخذ كأسا من عصير الكرمة ورشمه بعلامة الصليب باسم الآب والابن والروح القدس وأعطاه للرجل الذي شربه ، وللحال هبطت الحرارة واستراح ولوقته مضى إلى بيته وهو يمجد الله في قديسيه .

أن اثناسيوس كاتم السر كان يسبب ضيقات لهذا القديس

(١) ذكر فاموس اقلاديوس ليب س ١٥٥ عنها « أنها بلدة بمصر السفلى التي فيها عمد أنبا اسحق الكبير جملة ألوف من الناس (قيل أن معظمها كفرناحوم الرسل أو الجمة الكثيرة الرمل) » .

وكانت السلطة في يده فعلا بينما أن الشيخ القديس كانت معونته من عند الرب ، فلم يمهله الرب وأدبه نظير عدم أمانته لله فقد أرسل مرضا أصاب ابنه البكر حتى أشرف على الموت ، وقد بسط أبوه في طلب أطباء كثيرين لكنه لم ينل الشفاء بل ازدادت حالته سوءا ، فصغرت نفس اثناسيوس جدا وكان يطلب الراحة لابنه ولكنه لم يجدها ، ولم تفد الوسائط جميعها في شيء وكان يحيط به على الدوام كبار رجال المدينة .

وحدث في ليلة ما أن الرب أعلن لرئيس الأساقفة قائلا له : « أرسل إلى اثناسيوس كاتم السر باكرا وقل له : « إذا آمنت بالمسيح الذي بأمره أقامني رئيساً في كنيسته المقدسة ، فإن الرب سينعم على ابنك بالشفاء » ، فدعا البطريرك الأنبا اسحق تلميذه وقال له : « هل يوجد أسقف هنا ، فأجاب وقال له نعم : « انبا جرجس وانبا اغريغوريوس وانبا بيامت أسقف دمياط » فاستدعى الأساقفة المذكورين وأعلمهم بما رآه في الرؤيا ، ثم أن أبا اغريغوريوس قال له : « أنت تعرف أن هذا الرجل غاضب على قداستكم ، ألا تكون هذه الرؤيا خيالا ؟ فإن تكن هذه الرؤيا غير حقيقية فانها تسبب لنا ضيقات » .

أجاب القديس البطريرك وقال . كمن يعرف ما بينه وبين

الله ، ما أقوله أخبر به علانية أمام كل الناس ، فإنه هو القديس مرقس الانجيلي الذي يأمركم ثم أنهم مضوا كما قال لهم متوجهين إلى منزل اثناسيوس فوجدوه يبكي لمرض ابنه فأخبروه بما قاله لهم رئيس الاساقفة .

أجاب اثناسيوس وقال : « بالحقيقة إذا نال ابني الشفاء بواسطة رئيس الأساقفة فإني لواثق به مثل اثناسيوس وكيرلس واغناطيوس وساويرس، ثم انطرح اثناسيوس وزوجته عند أقدام الأساقفة قائلين : « نرجوكم أن تتوسطوا لدى رئيس الأساقفة ليصل من أجله حتى يخلص ، لأننا بالحقيقة لا نستطيع أن نلتقي به بسبب الشرور التي اختطفاها به » ، فلما انصرف الأساقفة ومضوا إلى الأب البطريرك أخبروه بما قاله اثناسيوس، حينئذ مضى رئيس الأساقفة إلى حيث الصبي ووقف إلى جانبه وصلى على رأسه ورشمه بعلامة الصليب بيديه المقدستين ، وللحال نهض الشاب من فراشه كأن لم يصبه مرض ،وطلب أن يحضروا له طعاما ليأكل ، وكان من يوم مرضه لم يذق شيئاً .

ولما رأى اثناسيوس وزوجته شفاء ابنهما من قبل رئيس الأساقفة اطرحا بوجهيهما عند أقدامه طالبين الصفح عنهما .

قال رئيس الأساقفة لاثناسيوس : « يابني احترس منذ الآن لا تسبب ضرراً للكنيسة لأن من يعمل ضد الكنيسة يقاوم المسيح » ، ومن ذلك اليوم صار رئيس الأساقفة مكرماً في عيني اثناسيوس وكان يجله كملاك من قبل الله .

الفصل الحادي عشر

الاهتمام بتجديد الكنائس

وتقول المخطوطة بعد ذلك أنه حدثت محادثة بين رئيس الأساقفة واثناسيوس في جدو من الثقة بشأن البيعة الكبيرة - كنيسة الانجيليين - بالاسكندرية وكان للأب البطريرك اهتمام خاص بهذه الكنيسة لأنها كانت على وشك أن تنهدم لطول الزمان، وبنعمة الله ترممت الكنيسة وزينت بزينات جميلة رائعة.

وفي تلك الايام اجتمع «المائة»(١) بالاسكندرية الأمر الذي لم يستطع أن يفعله الاساقفة الذين كانوا قبله بسبب أعداء الايمان .

(١) وردت هكذا بالمخطوطة .

(١) كنيسة الانجليين السابق ذكرها

كانت تسمى الكنيسة الكبيرة بالاسكندرية ، كانت معروفة أيضا بالكنيسة العظيمة وفيها كانت تقدمة البطاركة على الكرسى المرقسى فى القرنين السابع والثامن ـ وكان بجوارهما دير مطرا . وهذه كانت أكبر بيعة ويذكر التاريخ أنه كان بها ١٤ كاهنا(١).

ذكر هذا الدير أبو المكارم فى كتابه كنائس وديارات مصر فقال : « دير مطرا وهو ابسقوبيون (محل الاسقفية) وكان فيه رأس مار مرقس » .

وكانت هذه الكنيسة غرب الاسكندرية وهى على اسم متى ومرقس ولوقا ويوحنا (بقرب عمود السوارى تبع قسم كرموز) .

(ملاحظة)

كانت توجد كنائس أخرى كثيرة بالاسكندرية منها :

(٢) كنيسة القديس مرقس الرسول ببوكاليا

وهى أقدم الكنائس كانت تطل على شاطىء البحر ببوكاليا

(١) ذكر كتاب أديرة وادى النطرون لايقلين هوايت وكتاب سير البطاركة وسائر المراجع ذلك وقد يكون المقصود كل رجال الاكليروس ، وهذا يدل ولاشك على عظم هذه الكنيسة واتساع نطاق الخدمة فيها .

(دار البقر) وهو المكان الذى استشهد فيه القديس مرقس ـ قرب الميناء الشرقية ـ وعلى مر الزمن أصبح موقعها كما هى الآن. ظل جسده مدفونا فى هذه البيعة إلى أن أحتال بعض أهالى البندقية وسرقوا الجسد وتركوا الرأس وتوجهوا بالجسد إلى البندقية وكان ذلك فى القرن التاسع ، والجسد لايزال بالبندقية للآن .

(٣) كنيسة القديس اثناسيوس :

بناها القديس اثناسيوس وكرست سنة ٣٧٠ م وهى بمنطقة المطارين ولم يبق لها أثر .

(٤) كنيسة السيدة العذراء :

بناها البابا ثيؤناس الـ١٦ (٢٨٢ - ٣٠٠ م) وأعيد بناؤها وتوسيعها فى أيام بطريركية البابا الكسندروس (٣١٣ - ٣٢٨م) وهذه الكنيسة ظلت زمانا طويلا مقراً الأساقفة وفيها ترى القديس اثناسيوس (١) .

(٥) كنيسة البابا انبا بطرس خاتم الشهداء :

بنيت فى عهد الملك قسطنطينوس الكبير ولكنها خربت بعد الفتح العربى بقليل .

(١) ص ٨ كتاب Christian Egypt « لماردس » .

وهناك كنائس أخرى عديدة كانت موجودة قديما مثل كنيسة يوحنا المعمدان وكنيسة القديس نادرس وكنيسة قزمان ودميان ، وكنيسة رئيس الملائكة روفائيـــل (قرب المرقسية الكبرى) وكنيسة المخلص (ســـوتير) التى بناها البطريرك تيوفيلس وكانت لا تزال باقية فى القرن الحادى عشر وكنيسة أبو قير ويوحنا بضاحيـــة أبو قير ، وكنيسة رئيس الملائكة ميخائيل التى يقرر عنها بعض علماء الآثار أن موقعها كان على مقربة من ســـراى البلدية الحالى . وكانت فى وقت ما معبد « Saturn » .

+ + + + +

الفصل الثانى عشر

اعجاب القديس وعناية الله به

وتمضى المخطوطة هكذا :

« وقد أعطاه الله نعمة فى عين الوالى وكان بينهما ود متبادل يكرمان بعضهما البعض ، وكان مراراً كثيرة يدعوه فيجلسان سوياً ويتحدثان لأن الوالى كان قد رأى آيات شفـــاء كثيرة تجرى على يديه .

« حدث مرة بينما كان رئيس الأساقفة فى إحدى الاجتماعات أن مر الوالى مع جمع كثير . وفى مروره وصل إلى خارج باب الكنيسة ولما نظر إلى داخل الكنيسة ظهر له أن رئيس الأساقفة واقفاً أمام المذبح تحيط به نار وخافه أحد الأجناد بقوته . ولما رأى الوالى هذه الرؤيا العظيمة تعجب وقال لأحد الذين كانوا يسيرون معه ، أمض وادع رئيس الأساقفة إلى لأنه كان يريد أن يعلم من هو هذا الجندى الذى كان يتكلم معـــه ، ولما حضر البطريرك رأى أحد القوات بجانبه فارتعد ثم إنطلق إلى منزله .. وفى هذا اليوم حدث أن أتى كاتما السر إليه ليفتقداه فوجداه

مريضاً ولما سألاه عن علة مرضه أخبرهما بما رأته عيناه ، فلما سمعا كلامه تعجبا ومجدا الله » .

ثم أن الوالى عاد فأرسل واحداً من قبله إلى البطريرك يدعوه إليه ولما مثل أمامه سأله قائلا : « من كنت تخاطب إذ كنت فى المذبح ، ومن هو ذلك الذى كان واقفاً إلى جوارك مضيئاً كله بالنار ؟ أجاب رئيس الأساقفة وقال : « كنت أتكلم مع إلهى » . . . ثم أن الوالى قال له : « أفى كل مرة تصعد فيها إلى المذبح ترى إلهك » ، أجاب رئيس الأساقفة نعم ، حينئذ تعجب الوالى وقال لرئيس الأساقفة : « إن إيمانكم أيها المسيحيون قوى ، وكنت أعتقد حتى هذا اليوم أن الآبا يوحنا الذى كان قبلكم عظيماً أمام الله لكنى الآن إنى أعرف أنك أب له وأنك مكرم أمام الله » .

« ومنذ هذا اليوم صار القديس الآبا اسحق يعتبر كنبى فى نظر الوالى وكان يدعوه فى كل وقت « بالبطريق » ، وكان يسير معه حيثما سار . . .

« وحدث ذات يوم بينما كان الوالى فى حلوان وكان قد بناها حديثاً فى أيام ملكه أن إستدعى رئيس الأساقفة وأدخله

إلى قصره دون أن يسمح لأحد ممن يخدمونه أن يدخل وتركه فى أحدى الغرف بمفرده ، وسار فى طريقه ، وحدث أن زوجة الوالى رأت جموعاً من الملائكة فى الغرفة مع القديس رئيس الأساقفة ورأت نوراً عظيماً مثل مصابيح مشتعلة . . . والقديس اسحق فى وسطهم وهم يسبحون الله الليل كله حسب عادة المسيحيين . . . فأخبرت زوجها بما رأت وقالت له : « بعد قليل كادت روحى تخرج منى بسبب الخوف من الأمور التى رأيتها » ، فوقع الوالى فى دهشة عظيمة لما سمعه من زوجته . حينئذ قال الوالى إنى أدخلته بمفرده إلى الغرفة لكى يصلى لنا ولأجل أولادنا لكنها أقسمت له بأنها رأت جموعاً كبيرة بالقرب من الأب البطريرك وكانوا يسبحون الله .

وفى الغد أطلقه بكل إكرام وتبجيل ، وبنى أيضاً كنائس وأديرة للرهبان فى المدينة لأنه كان يحب المسيحيين . . .

« وحدث فى هذه الأيام أن رجلا مكرماً جاء من بلدة الوالى ، وكان مسيحياً ، ولديه ابنان أحدهما به روح شرير والآخر هرب إلى مصر لينكر ايمانه بالمسيح ولم يستطع أن يفعل هذا فى بلدته لخوفه من أبيه الذى كان مسيحياً كاملا ، ولما بحث عنه أبوه ولم يجده سافر إلى مصر للبحث عنه فوجده بعد أن كان قد أنكر

إيمانه واختار نصيب يهوذا أفضل من المسيح ، وأحضر هذا الأب ابنه الذى به الروح الشرير إلى مصر حتى يصلى الأساقفة لأجل سلامته لأنه سمع أنهم قديسو الله .

ولما أتى هذا الرجل إلى مصر أستقبله الوالى عبد العزيز بفرح كبير . . . ولما سأله عن سبب مجيئه أخبره بكل شىء فقبله بفرح وترحاب كبير .

ولما رأى الرجل أن ابنه الذى أنكر الإيمان لم يسمع له ولم يعد لإيمانه بكى بألم قلب وقال : « ليكن دمك على رأسك ، ومن الآن تكون غريباً عنى فى هذا الدهر وفى الدهر الآتى » .

وإذ كان يخبر عن أسقف قديس يصلى عن ابنه أرشدوه إلى أسقف هرطوق ولم يعلم شيئاً عن ذلك فقدم ابنه له ليصلى عليه لكى يشفى ، ولما فعل الأسقف المنافق ذلك لم يقدر أن يشفيه وكان الروح الشرير يعذب الشاب ولم يدعه فى راحة ، الأمر الذى سبب حزناً شديداً لوالده .

وحدث لما رآه الوالى ووجهه مكفهر أن قال له : « ماذا حدث لك » فأخبره الرجل بحقيقة الأمر ، ولما سأل الوالى عمن يكون هذا الأسقف أخبروه أنه أسقف إحدى البلاد وأنه هرطوق .

ثم أن الوالى أرسل للحال ليحضروا البطريرك القديس اسحق ، ولما مثل أمامه أعلمه بأمر الشاب المريض وعن الحزن الذى يغمر قلب والده بسببه ، فأخذ الأب البطريرك قليلا من الزيت وصلى عليه ودهن الشاب قائلا : « ربى يسوع المسيح ينعم لك بالشفاء » وللحال خرج منه الشيطان فى شكل لهيب نار ، وكل من رأى ذلك تعجب ومجد الله

أما الرجل فإنه للحال انطرح تحت قدمى رئيس الأساقفة وقدم له بخورا طيبا كان قد احضره من بلده ، ثم أن البطريرك أخذ يحدثه كثيرا لتقوية ايمانه بيسوع المسيح وفيما هو نافع لخلاص نفسه ...

وسأل هذا الرجل المحب للاله رئيس الأساقفة أن يكتب له انجيل يوحنا ، وصلى الأب على خبز وقدمه له على سبيل البركة . وما برح الرجل يطلب بركة الأب البطريرك ليكون ناصرا له كل أيام حياته حتى انصرف فرحا وهو يمجد الله حسب ما قاله خلصنا الصالح : « الذى يحبنى يحبه أبى وأنا أكون فيه » (١) .

---

(١) يو ١٤ : ٢٣ .

الفصل الثالث عشر

فطنة القديس وحكمته

قال القديس كاتب هذه السيرة :

« حدث بعد هذه الأمور أن بعض الناس الذين يكرهوننا انطلقوا إلى الوالى واقتروا على رئيس الأساقفة قائلين : « انك تعطى كرامة لاسحق وتقبله لديك وهو فى الوقت نفسه يكرهنا ويكره ديننا » ، فأجابهم الوالى إنى احبه لأنى أعلم من أعماله أنه يخضع ويخلص لنا ، وما تقولونه غير صحيح ، فقالوا له إذا كنت تريد أن تعرف كراهيته وصدق أقوالنا دعه يتناول الطعام معك على المائدة دون أن يرسم علامة الصليب ، فإذا لم يرسم علامة الصليب فاعلم أن كل ما قلناه كذب . فأخبرهم الوالى أنه سيطيب قلوبهم فى هذا الأمر واستدعى كاتمى أسراره فوراً لدعوة البطريرك لتناول الطعام معه دون أن يرسم علامة الصليب لتتبين له محبته ، وقال كاتما الأسرار للوالى أننا نحن معشر المسيحيين لا نستطيع أن نأكل ما لم نرسم الصليب أولا ، فإذا تركت رئيس الأساقفة وشأنه يرسم علامة الصليب أولا على الطعام فإنه يتناوله

وترجح قلبه ، وما نخاله يقبل بغير ذلك . أجابهما الوالى فى غضب: « سأجعله يأكل معى ولا أدعه يرسم علامة الصليب . . . . . » ولم يستطيعا أن يجيبا عليه بسبب غضبه فصمتا » .

« وفى يوم من الأيام مضى رئيس الأساقفة لزيارة الوالى كعادته، وكان يجلس معه عدد كبير من كبار رجال المدينة ، فبينما كان رئيس الأساقفة جالسا قدموا له سلة مملوءة بلحما ممتازا ودعاه الوالى أن يأكل أولا ، أما القديس الحكيم فيما لله وفيما للناس ، هذا الرجل الذى يسكن فيه الروح القدس مثل دانيال النبى، فلوقته بسط يده اليمنى وأمسك فى مهارة بسلة اللحم وقال للوالى ماذا تريد منى أن آكل ؟ أمن هذه الناحية أو من تلك ، من هذه الناحية أو من الناحية الأخرى ؟ أما الوالى فإنه لم يعرف ما فعله الآب رئيس الأساقفة ، لكن كاتمى السر والكبراء فهموا ما عمله وتعجبوا من عظم ذكائه ومن المواهب الجزيلة المنعم عليه بها من الله » .

أجابه الوالى : « من أى جهة شئت » ولما فرغا من أكل التمر اذن الوالى للبطريرك بالانصراف فانصرف .

ثم أن الوالى قال لكاتمى السر وللأعيان مفتخراً : « لقد

جعلته يأكل دون أن يرسم علامة الصليب ، قالوا له : « أنه لم يأكل إلا بعد أن رسم علامة الصليب أولا » أجابهم الوالى : « وكيف كان ذلك ؟ أجابوه : « فى الوقت الذى أمسك فيه بالسلة بيده اليمنى وقال أتريدنى أن آكل من هنا أو من هناك ، من هذه الناحية أو من تلك ، فإنه فى هذه اللحظة قد رسم علامة الصليب » .

للحال تعجب الوالى وقال : « حقا لن أجد رجلا حكيما مثله » ؟

أن الله الذى أعطى المجد والنعمة للنبى دانيال أمام ملوك الكلدانيين والفرس أعطى نعمة لهذا القديس أيضاً أمام الولاة .

الفصل الرابع عشر

اهتمام بكنائس الحبشة

وسعيه فى الصلح مع ملك النوبة

يقول أيضا القديس كاتب هذه السيرة :

استمعوا الى أيضا لأروى لكم خبراً عجيباً آخر .

« حدث فى تلك الأيام أن ارسل ملك الحبشة رسلا من قبله إلى رئيس الأساقفة يرسائل يخبره فيها بالحالة التى ترتب عليها نقص عدد الأساقفة بالحبشة بسبب طول الطريق ووعورته وطول الزمن الذى يستغرقه السفر ، وما كانوا يقدرون أن يمروا فى الطريق بأمر ملك النوبة لتوتر العلاقات بينهما .

كان الملكان على هذه (الكور) كلاهما مسيحى لكنهما لم يكونا فى سلام الواحد مع الآخر ، وكان ملك النوبة فى صلح مع الوالى بينما لم يكن ملك الحبشة كذلك . فلما قرأ رئيس الأساقفة رسائل ملك الحبشة وعلم بما تضمنته تألم كثيراً لحالة الكنائس ، وللحال أرسل رسائل إلى ملك النوبة يسدى اليه النصح

والتوجيه من الكتب المقدسة ، وذكره أنهما مسيحيان ، وكتب اليه الكثير من الأقوال ليثبته فى الإيمان الأرثوذكسى وطلب منه الا يمنع رجال المملكة من المرور إلى هذه البلاد ، لأنه إذا حدث ذلك وتعطلت الكنائس فإن هذا أمر لا يرتضيه الله ... فوشوا برئيس الأساقفة لدى الوالى قائلين أن ملك الحبشة أرسل رسلا تحمل رسائل إلى البابا اسحق رئيس الأســـاقفة ليقيم لهم أسقفا يسافر معهم إلى بلادهم ، وليس هذا فحسب بل أنه كتب أيضا رسالة إلى ملك النوبة ينصحه فيها بعقد الصـــلح مع ملك الحبشة ونحن فى عداء معه ، فإذا تم هذا فربما يتحدان ويكونان يدا واحدة ، ويقومان ضدنا لمحاربتنا ، فلما سمع الوالى هذا غضب غضبا شديدا وللحال أرسل رسلا إلى الاسكندرية لإحضار الأب البطريرك إلى بابليون وعندما وصلت رسائل الوالى كان القديس رئيس الأساقفة فى ذلك الوقت فى الكنيسة حيث كان اسبوع آلام مخلصنا ، وما أشد حزن الشعب وتألمه لغضب الوالى دون أن يعلم الشعب ما جرى حتى غضب الوالى .

سافر البابا على عجل إلى بابليون ، وركب رئيس الاساقفة حماراً وكان يسير فى شوارع بابليون وكان جمع غفير يسير وراءه كالعـــادة ليكونوا على بينة مما سيحل براعيهم ، وبينما كانوا

منطلقين وراءه إلى الوالى رأى الأب البطريرك رجلين عظيمين يلبسان ملابس بيضاء يعجز اللسان البشرى عن وصف بهائهما وكرامتهما وكان يراهما يسيران معه عن يمينه وعن يساره وقالا له : « لا تخف أيها البطريرك الأمين ، نحن نسير معك ، ولن يصيبك سوء ، سألهما من يكونا وهما فى مثل هذا البهاء ، أجاب من كان عن يمينه قائلا : . . . . . .

. . . . . من

يوم جلوسك على كرسى مار مرقس ونحن معك حيثما تذهب فتشجع ولا تخف ، وانك سوف تتنيح فى هذه السنة وتمضى إلى آبائك بسلام ، وقد أكملت سيرة الرهبنة والرعاية لأن الرب يريد منك أيها الراعى أن تنال الاعتراف باسمه » .

ورآه بعض الإخوة الرهبان كأنه يتكلم مع آخرين ولم يعرفوا هذا الأمر .

ولما وصل إلى القصر أخبروا الوالى بوصوله فأمر بإحضاره أمامه منفرداً وسأله عن صحـــة هذه الأقوال التى قيلت بشأنه فتحدث أمامه فى ثقة كبيرة فأكرمه وقربه اليه كما هو مكتوب :

« لأنى أنا أعطيـــكم روح الحكمـــة التى لا يقدرون أن

يقاوموها (١) وأيضا : « ومتى قدموكم أمام الملوك والرؤساء لأجل فلا تهتموا بما تقولونه لأن الروح القدس يعلمكم فى تلك الساعة ما يجب أن تقولوه » (٢) .

الفصل الخامس عشر

أمر الوالى ببناء الكنائس فى حلوان

توطدت أواصر الصداقة بين الأب البطريرك وبين الوالى بعد هذه الأمور وبعد ما سبر من حكمته وثباته وإخلاصه . وعندئذ أمر الوالى القديس رئيس الأساقفة أن يبنى كنيسة فى حلوان المدينة التى انشأها ، وأكمل الكنيسة بكل زينتها ، « وهذا الموضع كان يمضى اليه الامير عبد العزيز وكان قد أمر أراخنة الصعيد وكل الكور أن يبنى كل واحد لنفسه مسكنا بحلوان المدينة » (٣) . وفى أيامه أيضا بنى الاساقفة ديرا باسم السيدة العذراء فى أيام ولاية عبدالعزيز بن مروان وبمعونة اغريغوريوس

(١) لو ٢١ : ١٥ . (٢) لو ١٢ : ١١و١٢ .

(٣) Evetts ص ١٥٦ Fol. 53 A

أسقف القيس (تابعة لمركز بنى مزار) ويطلق على هذا الدير دير أبو كركر « Abu Karkar » نسبة لاغريغوريوس .

وذكر Evetts فى كتابه « كنائس وديارات مصر » أن الوالى أمر ببناء بيعتين فى حلوان على نفقة الاساقفة ووكل اغريغوريوس أسقف القيس بإتمام هذا العمل ، كما ذكر أنه كان هناك دير آخر قد أمر الوالى ببنائه فى أيام يوحنا الثالث البطريرك الاربعين ويصرف بدير الشهيد العظيم مارجرجس (من ص ١٥٥ - ١٥٧) .

الفصل السادس عشر

مرضه القديس ونياحته

ولما مرض الآب البطريرك وكان يعاني آلاما شديداً أخبروا الوالي عنه فتألم وصرفه وانطلق القديس إلى الاسكندرية حيث تبارك من المكان المقدس الذي للقديس مرقس .

واشتد عليه المرض جدا ، ولما علم اخوته الروحيون في جبل شيهيت بمرضه اسرعوا اليه ليخدموه حتى يفتقده الرب .

ولما قربت ساعة نياحته التف حوله حشد كثير من القديسين أساقفة واكليروس ورهبان وهكذا اسلم روحه بيد الله في اليوم التاسع من هاتور .

وتقول السيرة :

واستحق أن يضع أخوه الروحي الانبا يؤنس أسقف الطرانه يديه على عينيه كما وضع يوسف يديه على عيني يعقوب أبيه .

وكفنوه في مجد وكرامة وكان الاساقفة وكل الإكليروس

حوله ، وصرفوا الليل كله في التسبيح والترتيل . ولما لاح النهار اجتمعت جموع غفيرة واستغلوا بالخدمة المقدسة واشتركوا في جسد الرب ودمه ، ثم وضعوا جسده قرب زميله البطريرك الأنبا يوحنا الثالث في المقبرة الخاصة بكنيسة القديس مرقس ، وكانت نياحته في اليوم التاسع من هاتور سنة ٣٩٥ش (٦٨٩م) .

« أن جسده عندنا على الأرض ، أما روحه فعند الله في السموات تشفع فينا » .

أننا نؤمن أن جميع القديسين سيمثلون أمامه . البطاركة والانبياء والرسل وجميع القديسين . فليعطنا الرب أن نفوز برحمة صلوات الآب اسحق بالمسيح يسوع ربنا الذي يليق به المجد مع أبيه الصالح والروح القدس من الآن وإلى الأبد آمين .

تعقيب مهنة وتاريخ مؤلفه

ورد في السيرة القبطية التي نشرها *B. Porcher* صحيفة ٧ (٣٠٥) أن القديس من قرية « بيشو » وقد علق « *Porcher* » أن بيشو معناها الرمل ولم يأت بأكثر من ذلك ، وذكر

السنكسار أنه من جهة البرلس كما ورد فى تاريخ البطاركة أنه من شبرا « غربية » .

وعن قاموس اللغة القبطية لاقلاديوس ليب تبين أن « بيشو » (التى ترجمتها الرمـــل) ، قرية صغيرة قديمة تعرف برملة بنها قرب بنهـا (١) .

وتبين من الاطلاع على السيرة أن القديس الأنبا زكريا ، لما أراد اسحق أن يصير راهبا أرسله إلى القديس الناسك الأنبا أبرآم وقال له : « خذ هذا الشاب واذهب إلى جبـل « باماهو » وأقم هناك حتى ابعث فى طلبكما .. » .

« وباماهو » أو « باناهو » أو « باناف » كلها بمعنى بنها (٢) .

واتضح أن « بيشو » التى لم ترد إلا فى المخطوطه القبطية معناها رملة بنها ، قرب بنها كما سبق توضح .

ويقول *E. Amélineau* فى جغرافيته أن باماهو هى « بما » وتقع دائرة محافظة الجيزة (ص٢٨٣ ايفلين هوايت الجزء الثانى) .

(١) و (٢) ص ٣ حرف ب P قاموس اقلاديوس ليب .

ولا نستطيع الأخذ بما ذهب اليه اميلينو فلم يؤيده مصدر آخر ونرجح أن باماهو هى بنهـا ـ وأن « بيشو » رملة بنهـا التى وردت فى السيرة هى محل ميلاده ، ويؤيد هذا الرأى ما ذكر عن انطلاقه مع الآب ابراهيم إلى جبل بنها قرب بيشو .

أما عن تاريخ ميلاد القديس فلم تذكر السيرة القبطية ولا أية مراجع أخـرى عنه شيئا ، ويرى ايفلين هوايت أنه يحتمل أن يكون ميلاده حوالى سنة ٦٣٤ م واستند فى ذلك على رسـامته بطريركا سنة ٦٨٤ م (١) وكان عمره ٥٠ سنة ، واستنتج أن يكون انطلاقه إلى الدير حوالى ٦٥٢ ـ ٦٥٤ م على أسـاس أن عمره وقتئذ حوالى ١٨ ـ ٢٠ سنة ، وفى هذه الأثناء كان الأنبا زكريا قسا للدير (٢) .

ويمكن أن نطمئن إلى أن الأنبا اسحق انطلق إلى الدير فى سن مبكرة حوالى ١٨ ـ ٢٠ لأنه كان يشتاق لحياة الرهبنة منذ

(١) ايفلين هوايت الجزء الثانى ص ٢٨٤ وقد خصصنا فصلا عن تاريخ رسامته .

(٢) وافق (د . أوليرى) أيضا على أن الأنبا زكريا كان قسا للدير حوالى ٦٥٢ ـ ٦٥٤ م كما ذكر « هوايت » .

صباه، وما أن بلغ سن الزواج وتمت خطوبته وعمل فترة من الوقت - يبدو أنها ليست طويلة - حتى استقال، وبهذا يكون خروجه للدير حوالى سنة ٦٥٢ - ٦٥٤ م، وهذا يتفق مع زمان رئاسة الأنبا زكريا للدير.

ولا نستطيع الأخذ بما ذهب اليه «أوليرى» ص ١٥٨-١٥٩ فى كتابه «قديسو مصر» عن تلمذة القديس اسحق لأنبا يحنس قمص شيهيت إذ قال:

"He was an Ascete of Scetis and a Disciple of John The Hegumen..."

لأن هذه التلمذة غير ثابتة ولم يذكرها أى مرجع من المراجع الأخرى، ومعروف من سيرة الأنبا يوحنا قمص شيهيت أنه أخذ أسيراً لثالث مرة فى سنة ٦٣١ م وعاد إلى الإسقيط وصار قمصا حوالى سنة ٦٤١ م حيث قضى فى الأسر زمنا طويلا - أما الأنبا زكريا فقد انطلق إلى الإسقيط حوالى سنة ٦٤٢ م وكان قمصا فى ٦٥٢ - ٦٥٤ م.

فاذا اعتبرنا أن ميلاد القديس اسحق كان حوالى سنة ٦٣٤ م فإنه لا يمكن أن يكون للقديس يحنس القمص تلميذا لأنه يكون

صغيراً جداً، فضلا عن أنه ثبت فى كل المراجع تلمذته لأنبا زكريا القمص، وهو نفسه كان تلميذا للقديس الأنبا يحنس قمص شيهيت.

تحقيق زمن رسامته ونياحته

اختلف المؤرخون فى شأن زمن جلوس الأنبا اسحق على كرسى البطريركية ونياحته فحدد كل منهم زمنا معينا على النحو الآتى.

	الرسامة	النياحة
(١)	من ٦٧٥	٦٧٨ م
(٢)	من ٦٧٦	٦٧٩ م
(٣)	من ٦٨١	٦٨٤ م
(٤)	من ٦٨٤	٦٨٧ م
(٥)	من ٦٨٦	٦٨٩ م
(٦)	من ٦٩٠	٦٩٢ م

(١) من ٦٧٥ - ٦٧٨ م

و(٢) ٦٧٦ - ٦٧٩ م

ورد بكتاب جداول البطاركة لمكامل صالح نخلة فى جدول ابن العسال وجدول «أبو البركات» أن تاريخ التقدمة طوبة ٦٧٦م وتاريخ النياحة ٧ هاتور سنة ٦٧٩ م .

وبما أنه تبين من المخطوطة القبطية التى نشرها *E. Porcher* أن تاريخ رسامة الأنبا اسحق البطريرك هو ٨ كيهك وليس طوبة.

وبما أن يوم ٨ كيهك وهو يوم رسامة البطريرك يجب أن يكون يوم أحد .

وبما أن ٨ كيهك سنة ٦٧٦ م يوافق يوم الخميس (١) وليس يوم أحد وهو يوم الرسامة .

وإذا كانت الرسامة سنة ٦٧٦ م فاننا إذا اتخذنا تاريخ نياحة القديس البطريرك الانبا بنيامين سنداً تكون التواريخ التى رواها المؤرخون عن نياحته هى حوالى سنة ٦٥٩ م و ٦٦١م و ٦٦٢م ،

(١) إذا أتخذنا يوم الأحد ٨ كيهك سنة ٦٨٤ أساسا كما سيأتى يكون ٨ كيهك سنة ٦٨٣ يوم جمعة ويوم ٨ كيهك سنة ٦٨٢ خميس ويوم ٨ كيهك سنة ٦٨١ أربعاء ويوم ٨ كيهك سنة ٦٨٠ ثلاثاء (سنة كبيسة) ويوم ٨ كيهك سنة ٦٧٩ م أحد وسنة ٦٧٨ سبت وسنة ٦٧٧ جمعة وسنة ٦٧٦ م خميس .

فاذا اعتبرنا أولاها أى سنة ٦٥٩ م مبدأ فالمدة من البابا بنيامين الـ ٣٨ إلى البابا اسحق الـ ٤١ لايمكن أن تكون حسب الجدول السابق (٦٧٦ — ٦٥٩ = ١٧ سنة فقط) . لأن البطريرك الأنبا اغاثون الـ ٣٩ وحده مكث حوالى ١٩ سنة والأنبا يوحنا الثالث البطريرك الأربعين حوالى الثمانى سنوات .

وفضلا عن ذلك فإن خلافة مروان بن الحكم كانت فى سنة ٦٨٤ م وهو الذى ولى ابنه عبد العزيز الذى كانت رسامة البطريرك الأنبا اسحق الـ ٤١ فى أيامه (١) .

لهذا لا يمكن الأخذ بما جاء فى هذا الجدول ولا بما جاء فى كتاب وادى النطرون ورهبانه وأديرته لعمر طوسون من أن مدة اقامته على الكرسى من ٢٨ ديسمبر سنة ٦٧٥ م — ٣ نوفمبر سنة ٦٧٨ م للاسباب السابقة أيضا .

(١) ذكر كتاب تاريخ الكنيسة لمنسى يوحنا ص ٤٠٧ :

« خلافة مروان بن الحكم سنة ٦٨٤ م ، ولى على مصر ابنه عبد العزيز ... » وذكر Evetts فى كتابه كتائب وأديرة مصر ص ١٤١ ما يأتى :

« عبد العزيز بن مروان بن الخليفة مروان الأول ووالى مصر من ٦٥ هـ = ٦٨٥ م الى ٨٦ هـ = ٧٠٦ م .

(٣) ٦٨١ – ٦٨٤ م

ذكر كتاب الخريدة النفيسة الجزء الثانى ص ١٢٣ أن المدة هى من ٦٨١ – ٦٨٤ م .

وذكر السنكسار فى ٩ هاتور الجزء الأول طبعة ١٩١٢ ص ١٤٠ - ١٤١ أن المدة هى من ٦٨١ – ٦٨٤ م (وذكر السنكسار المطبوع سنة ١٩٣٥ أن تاريخ نياحته سنة ٦٧٩ (١)) .

وواضح من هذا أن نياحته كانت فى ٩ هاتور سنة ٦٨٤ م وحسب هذا تكون الرسامة فى ٨ كيهك سنة ٦٨١ ، ولا يقع يوم أحد لكن يوم أربعاء (٢) ، ولذا لا يمكن الأخذ به . (٣)

أضف إلى ذلك أن الأنبا اسحق كان فى أيام الوالى عبد العزيز ابن مروان الذى كان فى أواخر سنة ٦٨٤ م . وعليه لا ينبغى

(١) أخذ السنكسار طبعة ١٩٣٥ بجدول ابن العسال دون تحقيق صحة التاريخ .

(٢) يوم ٨ كيهك سنة ٦٨٤ يوافق يوم أحد كما سنوضح ذلك فيكون ٨ كيهك سنة ٦٨٣ جمعة و ٨ كيهك سنة ٦٨٢ خميس و ٨ كيهك سنة ٦٨١ أربعاء .

(٣) ٩ هاتور يقع يوم سبت .

الأخذ بأن الرسامة كانت فى سنة ٦٨١ م لأن عبد العزيز بن مروان لم يكن قد ولى بعد .

(٣) من ٦٨٤ – ٦٨٧ م

(١) ورد فى كتاب ايفلين هوايت الجزء الثانى ص ٢٨٤ أن مدة رياسته هى من ٦٨٤/١٢/٤ - ٦٨٧/١١/٥ م .

(٢) ورد فى مقدمة « E. Porcher » النص الآتى .

2. Les auteurs ne sont pas d'accord sur l'époque et la durée du patriarcat d'Isaac. Ses premier et second dure deux ans et neuf mois ou trois ans, P. O., V. 26 ; ou deux ans et dix jours, cf. Pierre ibn Rahib, *Chronique Orientale*, trad. Chabot, Paris 1900, p. 131 ; ou treize ans et demi, P. O., III, 368. — Si Isaac a été ordonné un dimanche 8 Kihak (4 déc.) 683/4, ce ne peut être celle qu'en 686 ou 690. S'il est mort un mardi sept Hatour (3 déc.), cf. Pierre ibn Rahib, loc. cit., ce ne peut être qu'en 687 ou 690 ; il aurait donc été patriarche la 683 à 687, car 690 a trop se donnerait pas une assez longue durée à son patriarcat : mais les jours de la semaine sont-ils ecclésiastiques ? — (F. N.)

وترجمته : (من السطر الرابع بعد -)

« وإذا كان الأنبا اسحق قد رسم بطريركا يوم الأحد ٨ كيهك (٤ ديسمبر) لا يمكن أن يكون هذا إلا فى سنة ٦٨٤ م أو سنة ٦٩٠ م ، كذلك إذا كان قد تنيح فى يوم الثلاثاء

٩ هاتور (٥ نوفمبر) فلا يمكن أن يكون ذلك إلا فى سنة ٦٨٧ أو سنة ٦٩٢ م وبذلك يكون قد جلس على الكرسى البطريركى من سنة ٦٨٤ — ٦٨٧ م ، لأن المدة من سنة ٦٩٠ إلى سنة ٦٩٢ م لا تكون مدة طويلة كافية لارتقاء الكرسى البطريركى (١) لكن هل أيام الأسبوع صحيحة ؟ .

للاجابة على ما أثاره « *Porcher* » نقول أن يوم الأحد ٨ كيهك يوافق بالفعل ٦٨٤/١٢/٤ — أى أن الأحد ٨ كيهك سنة ٦٨٤ م يوافق الأحد ٦٨٤/١٢/٤ ذلك لأننا إذا أضفنا (٢١) إلى ٨ كيهك وإلى ٦٨٤/١٢/٤ يكون ٢٩ كيهك موافقا يوم ٢٥ ديسمبر سنة ٦٨٤ م وهذا هو الصحيح لأن عيد الميلاد قديما كان يقع فى ٢٩ كيهك وكان يوافق دائما ٢٥ ديسمبر (٢) .

---

(١) أى تكون مدة قصيرة بالنسبة للاعمال التى تمت فى أيام رياسته .

(١) من سنة ١٥٨٢ م اكتشف البابا جريجورى فرقا بسيطا فى التقويم الميلادى إذ تبين أن السنة ليست ٣٦٥ وربع بل تقل عن ذلك بما يقرب من ١١ ثانية أى أن كل ٤٠٠ سنة ميلادية فيها زيادة بمقدار ٣ أيام ، وعلى هذا الأساس قام البابا بتصحيح التقويم من سنة ٣٢٥ م (وهى السنة التى قررت فيها الأعياد المسيحية فى المجمع المسكونى الأول بنيقية) إلى سنة =

أما أن يوم الأحد ٤ ديسمبر أو ٨ كيهك لا يمكن أن يوافق

= ١٥٨٢م فأنقص من كل ٤٠٠ سنة ثلاثة أيام، واعتبر يوم ١٥ — ١٠ — ١٥٨٢ هو يوم ٥ — ١٠ — ١٥٨٢ (مبدأ التقويم الجريجورى) وعيد الغربيون فى ٢٥ ديسمبر سنة ١٥٨٢ — ولم يوافق الأقباط على هذا التغيير والنقص البالغ قدره عشرة أيام وعيدوا للميلاد فى ٤ يناير سنة ١٥٨٣ بدلا من ٢٥ — ١٢ — ١٥٨٢ . ومن هذا التاريخ ٤ — ١ — ١٥٨٣ بدأ — وفقا لما تقدم — يتغير بزيادة الثلاثة أيام كل ٤٠٠ سنة .

ولما كان الفرق فى التقويم الجديد ثلاثة أيام كل ٤٠٠ سنة وجعلت السنة الكبيسة هى التى تقبل القسمة على ٤٠٠ ولا يزاد فيها يوم وقع عيد الميلاد فى سنة ١٦٠٠ فى ٤ يناير وسار عيد الميلاد حسب الآتى :

فى سنة	يقع عيد الميلاد فى
١٧٠٠	٥ يناير
١٨٠٠	٦ »
١٩٠٠	٧ »
٢٠٠٠ (يقبل القسمة على ٤٠٠)	٧ »
٢١٠٠	٨ »
٢٢٠٠	٩ »
٢٣٠٠	١٠ »
٢٤٠٠ (يقبل على ٤٠٠)	١٠ »
٢٥٠٠	١١ »
٢٦٠٠	١٢ »
٢٧٠٠	١٣ »
٢٨٠٠ (يقبل على ٤٠٠)	١٣ » وهكذا

إلا فى سنة ٦٨٤ أو سنة ٦٩٠ م فهذا صحيح ذلك لأنه إذا كان يوم ٤/١٢/٦٨٤ أحد فيكون ٤/١٢/٦٨٥ أثنين و٤/١٢/٦٨٦ ثلاثاء و ٤/١٢/٦٨٧ أربعاء و ٤/١٢/٦٨٨ جمعه (فرق يومين لأنها سنة كبيسة) و ٤/١٢/٦٨٩ سبت و ٤/١٢/٦٩٠ أحد كما جاء فى هذا النص .

إذن تكون الرسامة أما فى يوم الأحد ٨ كيهك سنة ٦٨٤ م أو الأحد ٨ كيهك سنة ٦٩٠ م لأنه لايأتى يوم أحد إلا فى هذين السنتين (طبعا استبعدنا ما قبل ذلك لأنه يمكن أن يكون مثلا ٨ كيهك سنة ٦٧٩ م أحد لكن هذا قد أبدينا رأينا فى شأنه) .

أما بالنسبة ليوم النياحة ٩ هاتور الموافق ٥ نوفمبر يقول «Porcher» أن هذا أيضا لا يكون إلا فى سنة ٦٨٧ أو سنة ٦٩٢ م (١) وهذا صحيح .

---

(١) ذكرنا أن ٨ كيهك سنة ٦٨٤ يوافق يوم أحد فيكون ٨ كيهك سنة ٦٨٥ أثنين و ٨ كيهك سنة ٦٨٦ ثلاثاء و ٨ كيهك سنة ٦٨٧ أربعاء وأول كيهك أربعاء فيكون يوم ٣٠ هاتور =

من كل ماتقدم تكون مدة جلوس الأنبا اسحق على الكرسى البطريركى احدى المدتين التاليتين .

	يوم	سنة	
(١) من ٤/١٢/٦٤	- ٥/١١/٦٨٧	٣٣٦	(٢)
(٢) من ٤/١٢/ ٦٩	- ٥/١١/٦٩٢	٣٣٦	(١)

ونرى الأخذ بالتاريخ الأول (من ٤/١٢/٦٨٤ - ٥/١١/٦٨٧ م) لأنه يتفق مع ما رواه المؤرخون من أن مدة جلوسه كانت سنتين و٣٣٦ يوم أو حوالى ثلاث سنوات كما ذكر كتاب تاريخ البطاركة (١) ولم تذكر أية مراجع أن مدة رياسته كانت

= سنة ٦٨٧ ثلاثاء وعليه ٩ هاتور وهو تاريخ النياحة ثلاثاء أيضا.

أيضا ٩ هاتور سنة ٦٨٨ خميس (سنة كبيسة) و ٩ هاتور سنة ٦٨٩ جمعة و ٩ هاتور سنة ٦٩٠ سبت و ٩ هاتور سنة ٦٩١ أحد و ٩ هاتور سنة ٦٩٢ (ثلاثاء) سنة كبيسة .

(١) ذكر كتاب الجوهرة النفيسة أن مدة جلوسه سنتين ٣٣٦ يوم لكنه أوضح المدة من ٦٨١ - ٦٨٤ وهذا لايتفق مع يوم الرسامة كما سبق فصلنا ذلك وجاء فى سيرة الأنبا اسحق =

أقل من سنتين من ٤/١٢/٦٩٠ إلى ٥/١١/٦٩٢ مثلا فضلا عن أنه إذا نظرنا للاحداث التى حدثت فى عهده تكون هذه المدة ضئيلة بالنسبة لها .

(٤) ٣/١/٦٩٠ - ٥/١١/٦٩٢

٨ طوبة ٩ هاتور

ذكر كتاب جدول البطاركة لواضعه المرحوم كامل صالح نخله فى ص ٨٦ أن مدة رياسته كما هو موضح أعلاه - لكن كما ذكرنا يجب أن تكون الرسامة الأحد ٨ كيهك وليس ٨ طوبة وقد أوضحنا رأينا فى هذه المدة .

(٥) من ٦٨٦ - ٦٨٩م

ذكر « أوليرى » فى كتابه « قديسو مصر » ص ١٥٨

= فى كتاب تاريخ البطاركة أن مدة جلوسه سنتين و ٩ أشهر وجاء بعد ذلك ما نصه :

« وقد ذكر لى فى نسخة أخرى أنه أقام على البطريركية ثلاث سنوات » .

و١٥٩ أن مدة رياسته من ٦٨٦ - ٦٨٩ م وأن نياحته ٩ هاتور ويبدو أنه أخذ هذا التاريخ عن كتاب سيرة الآبا اسحق لناشره « Porcher » الذى أشار اليه وقد ذكر أن رسامته كانت سنة ٦٨٦ م .

وذكر كتاب تاريخ البطاركة لساويرس بن المقفع أن المدة من ٦٨٦ - ٦٨٩ م (ونقل عنه كتاب تاريخ الكنيسة للقمى يوحنا) وذكر آخرون أن مدة رياسته ص (٦٨٦ - ٦٨٨ وليس ٦٨٩ م) كما جاء فى كتاب ص ٥٧

Christian Egypt (Fowler)

ولا نستطيع الأخذ بهذا للاسباب السابقة فقد ذكرنا أنه لا يكون يوم أحد إلا فى سنة ٦/٤ أو سنة ٦٩٠ كذلك النياحة الثلاثاء ٩ هاتور سنة ٦٨٧ أو سنة ٦٩٢ وقد رجحنا المدة من ٤/١٢/٦٨٤ - ٥/١١/٦٨٧ م .

وإذا أخذ بهذا التحقيق فيقتضى الأمر مراجعة تواريخ عدد كبير من البطاركة .

ذكر *Porcher* أن الأحد ٤ ديسمبر يكون فى سنة ٦٨٤ واتخذ هذه السنة أساساً ، أما كيف تعرف ذلك فالرجاء مراجعة الجدول الحسابى الملحق بآخر الكتاب .

أسقفية (صـــا)

كرسى « صـــا »

ورد فى كتاب « *E. Porcher* » ص ٣٣٤ أن أسقف مدينة « صاى » تفيح بسلام واختير الأنبا زكريا بدله — وردت بالقبطية صـاى ونقلها إلى الفرنسية « *Sais* » ، ولم يوضح ناشر السيرة شيئا عن هذه البلدة التى أقيم الانبا زكريا أسقفا عليها .

وذكر كتاب تاريخ الكنيسة للقس منسى يوحنا عنهـــا « أسقفية مدينة سياس » ، وكذا كتاب الجريدة النفيسة ذكرها « مدينة سياس » . ولم نجد شيئا فى قاموس اقلاديوس لبيب وفى مراجع « أوليرى » ، وايفلين هوايت وغيره ...

أما كتاب « *Chenoux* » الجزء الثانى فقد ذكر فى ص ٣٢٤ فى الهامش ما يلى :

« *Sais* » ، المقر المفضل لبسامتك وملوك الأسرة السادسة والعشرين وكانت مركز عبادة الآلهة « نيت » ، وهى عبـــادة مقرونة بصناعة الأقمشة وتيل الكتان ، وكان تيل *Sais* مشهوراً

كانت عاصمة الدلتـا ، وقد أفاض هيرودت الذى زارها حوالى ٤٦٠ ق . م فى وصف مبانيها » .

وفى ص ٢٣٠ الجزء الأول أوضح « شينو » أن *Sais* هى صا الحجر » .

وصا الحجر هذه تابعة الآن لمركز كفر الزيات ، وكان لهذه نطقة فى القديم شأن يذكر ، والغريب أيضا أنه كان بين هذه لدة « صـــا » وبلدة « بوطوس » أسقفية أخـــرى فى بلدة *Cabasa* » وتعرف اليوم بشباس عمر (ص ٢٤٧ جزء أول ـــينو) .

ويجب عدم الخلط بين هذه البلدة « صا » أو صا الحجر — ين « صان الحجر » الواقعة فى الجزء الشمال الغربى بمركز فاقوس حافظة الشرقية ، واسمها قديما « جانى » بالقبطية و « تانيس » يونانية (١) .

وأسقفية « صـــا » كانت موجودة فى القرنين الحادى عشر

---

(١) كتاب الرهبنة القبطية سنة ١٩٤٨ مقالة المرحـــوم عقوب مويزر .

والثانى عشر حسب جدول جرجس بن مسعود الشهير بابن المكارم حيث ذكر هذه الأسقفية ضمن الـ ٥٢ أسقفية التى كانت قائمة فى هذين القرنين ، وحاليا يوجد بها كنيسة .

حالة الرهبنة فى القرن السابع فى دير القديس مكاريوس

وصوله دير القديس مقاريوس

إذا ما ذكرنا اسقيط القديس مكاريوس أو برية القديس مكاريوس يرد إلى خاطرنا حالا ذكرى ذلك العظيم القديس مكاريوس الكبير مؤسس الرهبنة أب جميع الرهبان ومنشىء الإسقيط معلم الفلاسفة وأولاد الملوك ، كانت البرية فى أيامه زاخرة بالرهبان القديسين تضم أكثر من ٢٥٠٠ راهبا أو قديسا كانت جامعة كبيرة تخرج فيها فطاحل القديسين ، كان أولاده عمانئة أمثال أرسانيوس ومكسيموس ودوماديوس وايسيذروس وبموا ، كذا أولاد أولاده أمثال: الأنبا بيشوى وجنس القصير تلميذا الآب بموا ، وموسى الأسود تلميذ القديس ايسيذورس .

شجرة مورقة مغروسة على مجارى المياه وبالأثمار محملة، أزهرت وأينعت زهوراً عطرة فاحت رائحتها الزكية لا فى مصر فحسب بل فى العالم أجمع .

القديس مقاريوس الكبير

تنيح القديس مكاريوس حوالى سنة ٣٩٠ م ، وما أن انتشر خبر نياحته حتى خرج الرهبان من قلالليهم وألقوا أنفسهم على جسده الطاهر... ثم وضعوا جسده فى مغارة قرب الكنيسة .

بعد نياحة القديس مكاريوس خلفه القديس بفنوتيوس قائدا للرهبان وظلت البرية لمدة قصيرة ممتلئة بالهدوء والسلام ترتفع فيها أصوات التسابيح والصلوات . . ثم تعرضت لغارات ثلاث فى القرن الخامس حوالى سنة ٤٠٨ و ٤١٠ و ٤٤٤ م .

فى الغارة الأولى استشهد القديس موسى الأسود وفى الغارة

الأخيرة استشهد التسعة وأربعين شيخا بشيهيت ، وفى هذه الغارة الوحشية التى فتك فيها البربر بالشيوخ بعد أن أتموا القتل انطلقوا إلى دير الأنبا بيشوى حيث غسلوا سيوفهم الملوثة بالدمـــاء فى بئر هناك ، فتبارك الماء من دماء الشهداء وكل من شـــرب من هذا المـــاء بإيمان كان يبرأ من أى مرض اعتراه ، ولا تزال أجسادهم المقدسة مدفونة للآن فى كنيسة الـ٤٩ شيخا بدير القديس مكاريوس

† † † † †

كنيسة التسعة والأربعين شيخا بدير القديس مكاريوس

وفى القرن السادس كان الأنبا دانيال قمصا للبرية وفى أيامه حدث اضطراب واضطهاد عظيم بسبب مجمع خلقيدونية وعدم الاعتراف به ، واحتل البطاركة الملكيون كنائس الأقباط وانتقل الكرسى الاسكندرى إلى دير « أبو مقار » بعد ما تعذر تواجد البطاركة الأقباط بالاسكندرية ، وحوالى سنة ٥٧٧ م هجم البربر أيضا على البرية وحدثت الغارة الرابعة ، وفى هذه الغارة القوا أيديهم على الشيوخ ولحقت بالرهبان شدائد وضيقات كثيرة وتشتت الرهبان إلى أماكن متفرقة .

وبعد الفتح العربى فى القرن السابع عاد البابا الأنبا بنيامين الأول البطريرك ٣٨ إلى كرسيه وحدثت حركة تعمير واعادة بناء واسعة النطاق فى الأديرة وتكاثر عدد الرهبان جدا حتى أن الأب البطريرك يصف كثرتهم هكذا قائلا :

« ... فلما قربنا إلى الدير (ابو مقار) خرج للقائنا فتيان بأيديهم سعف النخل وجاء بعدهم الشيوخ حاملين المجامر وصلبانا يسبحون بألحان وتراتيل ، وعندما خرج الشيوخ اهتز الجبل جميعه من كثرتهم وصفوفهم مثل جند للسماء ... » .

وكما امتازت الرهبنة فى القرن الرابع بظهور القديس العظيم

مكاريوس الكبير ، هكذا فى هذا القرن ظهرت شخصيتان عظيمتان فى عالم الرهبنة القمص يوحنا قمص برية شيهيت والقس صموئيل القلموني الذى مكث زماناً فى برية القديس مكاريوس قبل أن ينطلق إلى صحراء الفيوم (١)

وكما كان الأنبا مقاريوس عظيماً فى الرهبنة وخلفه أبناؤه وأبناء أبنائه وكانوا عظماء ولهم تاريخ فى الرهبنة كما سبق ذكرنا - هكذا أيضاً فى القرن السابع رغم الظروف المختلفة والضيقات الشديدة التى مرت بها الكنيسة كانت الرهبنة قوية واستمدت قوتها من مصباح البرية المنير الأنبا يحنس قمص البرية .

وإذ نحن فى صدد ذكرى العظيم الأنبا يحنس قمص شيهيت (٢) ، لا بد لنا أن نعرج إلى سيرة القديس الأنبا صموئيل لأن من سيرته نعلم شيئا كثيراً عن أسر القديس يوحنا المرة

---

(١) بعد إنطلاق الأنبا صموئيل لدير القديس مكاريوس وبعد أن مكث حوالى ثلاث سنوات نبيح معلمه الأنبا أغاثون واستمر فى نسكه وجهاده - ولعب الإخوة له ولجهاده الشديد فى الصلاة رسم قساً لكنيسة القديس مكاريوس (عن سنكسار رونيه باسيه ص ٣٣٠) .

(٢) عن ايغلين هوايت ص ٢٧٥ الجزء الثانى .

الثالثة والأخيرة (١) فنقول أنه لما وصلت رسالة لاون للاسقيط سنة ٦٣١ م كان القمص يوحنا غائباً عن دير القديس مكاريوس حيث كان قد مضى إلى الصحراء الداخلية ليخفى كنوز الكنيسة (٢) وفاجأه البربر وأخذوه أسيراً إلى بلادهم ، وبعد حوالى أربع سنوات أى سنة ٦٣٥ م إنضم معه الأنبا صموئيل القمولى فى الأسر عند عودته من الإسقيط إلى الفيوم (٣) ، لكن مدة أسر الأنبا صموئيل كانت لمدة قصيرة

(١) كان ليوحنا القمص ظروف مشابهة لظروف البابا القمص من حيث الأسر ، ولو أن الأول ذاق صنوف العذاب أكثر من الثانى كما يبدو.

(٢) كان الآباء الرهبان غاية فى الحرص واليقظة ، فإذا ما حدث إضطرابات بسبب هجوم البربر أو إضطهاد بسبب المجمع المسكونى كانوا يبادرون إلى إخفاء كنوز الدير ، ولم يهملوا شأن الكتب أيضاً فكانوا يضعونها فى صناديق ويخبئونها . والمخطوطات النفيسة التى وجدها الثرى الأمريكى مرجان فى خرائب دير الخامول بالفيوم سنة ١٩١٠ تنطق بذلك ، ولو أجريت حفريات فى المناطق الأثرية لظهر الكثير من الكتب مدفونة فى أعماق الصحراء .

(٣) لما وصلت رسالة لاون ، قاوم الأنبا صموئيل هذه الرسالة وقال لا يمكننا أن نقبل مجمع خلقيدونية ونعترف بمطرك آخر سوى البابا الأنبا بنيامين ، وطلب الأنبا صموئيل أن يمحوه المنشور ، ولما أخذه مزقه أرباً ورماه فعذبوه عذاباً شديداً وتركوه بين حى وميت ، ثم نقلوه =

بينما كما يبدو إستمر القديس يوحنا قمص البرية أسيراً لبضع سنوات ، وربما عاد إلى الأديرة قرب الفتح العربى .

كان للأنبا يوحنا قمص البرية سلطة كبيرة على البرية كلها ، وخلف أولاداً عمالقة منهم أبرام وجورجى وزكريا الذى صار أسقفاً على كرسى « صا » السابق ذكر سيرته ، وتتلمذ لأبرام وجورجى كثيرون من الآباء الكبار منهم الأنبا أغاثون العمودى والأنبا زكريا أسقف سخا ، بتيلوميثوس أسقف منوف العلا ، الأنبا مينا أسقف تمى . . .

= إلى الجبل الجنوبى حيث احتمى بمغارة وشفى بمعجزة ـ ومن هنا رحل مع الإسقيط مع تلاميذه إلى صحراء الفيوم حيث ذاع صيته .

ويجب أن نلاحظ أن القديس الأنبا صموئيل كان فى القرن السابع وذلك لم يكن هو أب أديرة الفيوم مثل القديس مكاريوس الكبير أب رهبان برية شيهيت ، ولم يكن مؤسساً لأى دير معين ولكنه كان مجدداً لبناء دير القلمون ، فإنه فى القرن السابع أمكنه أن يبنى مؤسسة أديرة القلمون ـ وهذا الدير هو الدير الباقى للآن من مجموعة الأديرة العديدة التى كانت بمنطقة الفيوم (وتبعد ٨٥ ك.م جنوبى غربى القاهرة) .

للقديس الأنبا يحنس قمص شيهيت وتوبيه

Χερε ΝΑΚ ωιωα πιζητογλλενος
φα νιωφηρι ετ τολλτ ννινογς
Ογηρ ν̀ϩιci ακωοπτογ ϩεν πεκτοπος
ϩγαμοηι ϣιμοκ ϩωc ϩβωκ νελαχιετος
ν̀τ̀ νcοττ ὲβολϩιτεν νιβαρβαρος
ϩεν πεχλλαλωτος
ΝΑΚωοπ νελλωογ ϣφρητ̀ νογαλνος
ΝΑΨτ̀ϫοει ΝΑΚ ν̀ϫε πχc.
ΝΑΨλλενριτΚ ὲλλαψω ϩωc
ιωα πωηρι ν̀ζεβεδεος πιαποc τολοc
ϩεν πιερφει ΝΑΚΝΑΥ ὲτρεϥτι ὲθνεcωc
νελλ πενϭοις πιαηλιογργος

ωογνιατκ νελλ νεκλαοιτηc νιαςιοc
ααββα αβρααλλ νελλ ϫεοργιοc
αρετενcεν νετενωνϩ ϩεν νιϩωc
νιωηcτια νελλ νιϩγλλνοc
ϩανcοχεν ερcωττι νε ναικαρποc
ετοι ν̀ϣογωϣο ν̀ϯλλετλλονλχοc.'

٨٧ المؤلف

ظل هذا الدير شامخاً لأجيال كثيرة وكان من أهم أديرة برية شيهيت وكانت الرعاية فيه جبارة بدليل أن الأمر لم يقتصر على رعاية الرهبان فحسب بل تعدتها إلى الراهبات المتوحدات، ففي دير القديس مكاريوس ظهرت رهبنة النساء في الصحراء - ظهرت القديسة أناستاسية في القرن السادس في أيام الأنبا دانيال قمص شيهيت، والقديسة ايلاريا التي تنسكت في الإسقيط أيام الأنبا بمو (١) وتزيت بزي الرجال وكانوا يدعونها ايلاري الراهب.

(١) هذا الأب كان في القرن الخامس، وورد في سيرة الأنبا كاراس أنه كفن ايلارية إبنة الملك زينون. وورد في السيرة خبر نياحة أنباشنوده رئيس المتوحدين قبل نياحة الأنبا كاراس بيوم. والأنبا شنوده تنيح حوالي سنة ٤٥١ م.

هذه نظرة بسيطة إلى حالة هـــذا الدير الفنى بآثاره الذى يضم أجساد بطاركة كثيرين ، والذى يمتـــاز بوجود أجساد الثلاثة مقارات فيه الآن .

الفصل حول دير القديس مقاريوس

ودير الأنبا زكريا

ذكر كتاب الرهبنة القبطية سنة ١٩٤٨ ص ١٠٧ مايأتى :

« دير أنبا زكريا وهو بجوار دير أبى مقـــار . لم يذكره المقريزى ضمن الأديرة بوادى هيب ولكننا نستدل على وجوده من سيرة الأنبا اسحق البطريرك الحادى والاربعين (٦٨٦ - ٦٨٩ م) . . . والدير لا بقايا له » .

ونقول أن « المقريزى » لم يذكر هذا الدير لأن شأنه لم يكن شأن الأديرة الرئيسية مثل دير القديس مكاريوس أو دير الأنبا بيشوى أو دير البرموس . . . لأنه كان ملحقـــاً بدير القديس مكاريوس كما كانت عشرات من أمثال هـــذه الأديرة الصغيرة أيضاً ، كما كان أيضاً بجوار دير القديس يحنس القصير أمثال هذه الأديرة . وهذان الديران ، القـــديس مكاريوس

ويحنس القصـير ، هما الوحيـدان اللذان كانت بجوارهما أديرة صغيرة أو بمعنى آخر قلايات كبـــيرة بعضها له سوره وكنيسته وقلاليه . . . وهذه يطلق عليها باليونانية « لافرا » ، واستخدمت فى القبطية وبالفرنسية Laura وبالانجليزية « Laure » (١) .

وقد ذكر ايفلين هوايت ص ٢٨٢ فى كتـابه أديرة وادى النطرون الجزء الثانى أن الأنبا زكريا هو مؤسس القلالى قرب دير القديس مكاريوس المعروفة بالقبطيـة (تيشتى لنرى) أى القلاية الكبرى .

وذكر المقريزى فى سياق حديثه عن أديرة وادى النطرون: «وأشهر هذه الأديرة دير القديس مـــكاريوس الكبير ويرى خارجه أطلال عدد كبير من الأديرة . . . » .

---

(١) تقول « لافرا » القـديس مكاريوس و « لافرا » القـديس يحنس القصير ولا تقول « لافرا » القديس بيشوى أو البرموس . . .

وكلمة « Laura » مضاها كما ورد فى قاموس الآثار المسيحيـة الجزء الثانى ص ٩٣٤ « فناء صغير » أو تجوع قلالى منفرقة ، وكانت تطلق على الجماعات الرهبانيـة فى مصر وفلسطين وسوريا ، تحت إدارة رئيس القلالى . . .

وهذا يوضح لنا مفهوم كلمة « لافرا » السابق الإشـارة إليها فى كـتابنا « ص ١٧ » .

لذلك اكتفى المقريزى بذكر الأديرة الرئيسية أما الأديرة الصغيرة وعددها كبير كان حوالى الأربعين حول دير القديس مكاريوس فاكتفى بالإشارة إليها

هذه القلالى كان لا بد من إقامتها لأنه بسبب تكاثر عدد الرهبان فى دير القديس مكاريوس الكبير ، لم يمكن الدير يتسع وكان لا بد من بناء قلالى كبيرة أو أديرة صغيرة حول هذا الدير.

مشروع القلالى الكبيرة

من سيرة الأنبا بنيامين البطريرك ٣٨ فى القرن السابع عند تكريسه كنيسة القديس مكاريوس الكبير يتضح أن عدد الرهبان كان يعد بالألوف وقد إهتز الجبل لكثرتهم ، وواضح أيضاً من سيرة البابا البطريرك الأنبا أغاثون أن عدد الرهبان تكاثر جداً فبنوا قلالى حول الدير.

أيضاً الأنبا أبرآم والأنبا جورجى الشهيرين كانا من قديسى القرن السابع وكانت لهما قلاية باسميهما .

إذن مما تقدم نستطيع أن نقول أن بناء هذه القلالى الكبيرة حول دير القديس مكاريوس ربما كان بعد الفتح العربى

وكان ضمن برنامج التعمير والبناء الذى تعب فيه البابا بنيامين والبابا أغاثو . . .

هذه القلالى الكبيرة - شبه أديرة صغيرة - كانت تنسب إما إلى بلد رهبان القلاية أو إلى راهب ممتاز بين الإخوة . فعن النوع الأول فإنه يوجد مخطوط بالمكتبة البطريركية بالقاهرة مذكور فيه أنه كتب عام ٩٩١ ش (١٢٨٥م) فى قلاية « الدماهرة » (١) أى أن هذه القلاية كانت مخصصة للرهبان من دمنهور .

وعن النوع الثانى قلاية « بلتوس » (فيلوثيئوس) وقلاية أبرآم وجورجى وقلاية درودى وهو معلم القديس يحنس كاما . . .

كان يوجد حوالى ٤٠ قلاية كبيرة منها (٢) :

(١) قلاية بيجبيج - كان بها القديسان أبرآم وجورجى .

(٢) قلاية البنانون .

(٣) قلاية الجمال - ذكر فى كتاب الأربعين خبر أنه كان

(١) كتاب وادى النطرون ، منير شكرى ص ٢٦٤ .

(٢) عن كتاب وادى النطرون ، عمر طوسون ص ٢١٠و٢١١ .

انسان من برقه يعمل الحديد وكان كثير الصدقة وأنه مضى إلى وادى النطرون وتوحد به مدة ثلاث سنوات قبل عنه ، فقام ومضى إلى دير القديس أنبا مكاريوس ودخل إلى قلاية صغيرة تعرف بقلاية « الجمال » .

(٤) قلاية درودى - هو معلم القديس يحنس كما وخرج منها الآب البطريرك الأنبا غريال (تاريخ البطاركة المخطوط لأسقف فوه) .

(٥) قلاية عوزبال بجوار قلاية درودى .

(٦) قلاية دربنا - خرج منها الآب البطريرك الأنبا مينا ٦١ .

(٧) قلاية دكتكفرى - خرج منها الآب البطريرك الأنبا ميخائيل ٦٣ .

(٨) قلاية دنجاية - خرج منها الآب البطريرك الأنبا شنوده ٦٥ .

عدا ماذكرته مراجع أخرى من وجود قلالى الدرى والرصيني أو البرهيني ، دكنونية وقلاية بلتوس . . .

وعلى مر الزمن إندثرت القلالى المحيطة بدير القديس مكاريوس الكبير كما إندثر دير القديس يحنس القصير مع قلاليه .

دير القديس مكاريوس وكذا دير القديس يحنس القصير كانا ممتازين عن باقى الأديرة وأن نظرة بسيطة إلى إحصاء الرهبان فى القرن الحادى عشر يوضح لنا مدى هذا الازدهار نسبياً فكان عدد رهبان القديس مكاريوس ٤٠٠ ، يوحنا القصير ١٥٠ وبيشوى ٥٠ ويوحنا كاما ٢٥ وابرموس ٦٠ وموسى ٢ والسريان ٦٠ .

وفى القرن الثالث عشر كان بدير أنبا مكاريوس ١٠٠٠ وبدير يوحنا القصير ١٦٥ (١) .

ظلت هذه القلالى الكبيرة حتى القرن الرابع عشر ومن القصة التالية نستطيع أن نتبين أنه من القرن الخامس عشر إندثرت هذه القلالى التى كانت تحيط بدير القديس مكاريوس فيذكر التاريخ أنه فى سنة ١٤٠٩ م عندما تنيح البطريرك متاؤس الأول قد أظهر الرب أعجوبة فى ليلة رقاده ، ذلك أن رهبان دير القديس مكاريوس سمعوا حركة وصوتاً من صناديق البطاركة يدعوهم قائلا : (قوموا واخرجوا وافتحوا الباب لأن أبانا متاؤس هنا وهو واقف يقرع الباب) ، وعندما خرج الإخوة (مما يوحى بأن الرهبان صاروا الآن فى القسطلية فقط داخل

(١) وادى النطرون عمر طوسون ص ١٦٧ .

أسوار الدير ، وأن القلالى الخارجية قد هجرت) ، وفتحوا لم يجدوا أحداً تعجبوا وظلوا يجهلون ما حـــدث إلى أن وصلتهم الأخبار من مصر أن هذا الأب قد تنيح فى الليلة التى زارهم فيها لأجل إخوته البطاركة القديسين ... وكان ذلك هو سبب تحرك تلك الأجساد لأنهم قد علموا أن العالم قد خسر فى ذلك اليوم معلماً عظيماً .

وكان من جراء حركة الأجساد هذه أن سقط على الأرض المصباح الذى كان موقداً أمامها وانطفأ ولم ينكسر (١) .

ومما لا شك فيه أن العوامل التى أدت إلى إندثار هذه القلالى هى نفسها التى أدت إلى إندثار عدد كبير من الأديرة فى القرن الخامس عشر بعد أن كانت تطل شامخة إلى منتصف القرن الرابع عشر تقريباً وبعد أن كان عددها كبيراً ويعزى ذلك لأسباب كثيرة منها وباء الموت الأسود الذى حل فى منتصف القرن الرابع عشر والمجاعة التى حدثت سنة ١٤٧٤ م وأعقبها طاعون ...

ما تقدم يعطينا فكرة عن مدى إزدهار الرهبنة فى القرن السابع فى دير القديس مـــكاريوس الكبير وخارجه فى القلالى المنتشرة حوله .

(١) كتاب أديرة وادى النطرون ص ٣٠٢و٣٠٣ .

المراجع

(1) Vie D'Isaac - E. Porcher .

(2) The Saints of Egypt. O'Leary .

(3) Les Saints d' Egypte, Cheneau.

(4) Churches and monasteries of Egypt, EVetts.

(5) Monasteries of Wadi Natrun Evelyn white.

(5) Synaxaire Arabe , René Bassè

(7) Christian Egypt, OTTo Meinardus .

(8) Monks and Mouasteries OTTo Meinardus.

(9) Dictionray of Christian Antiquities

(١٠) وادى النطرون ورهبانه لمعز طوسون .

(١١) قاموس أفلاديوس لبيب .

(١٢) مصباح الظلمة لايضاح الخدمة لإبن كبر .

(١٣) أديرة وادى النطرون د . منير شكرى .

(١٤) تاريخ البطاركة لساويرس بن المقفع .

(١٥) تاريخ الكنيسة لمفى يوحنا .

(١٦) الخريدة النفيسة .

تابع (المراجع)

(١٧) القديس الأنبا أبرآم للقمص ميخائيل سعد .

(١٨) الدسقولية .

(١٩) المجموع الصفوى .

(٢٠) جدول تاريخ البطاركة لكامل صالح نخله .

(١١) السنكسار .

(٢٢) كتاب الرهبنة القبطية سنة ١٩٤٨ .

(٢٣) بستان الرهبان .

† † † † †

الفهرست

صفحة

الفصل الأول ميلاده ونشأته ٩

الفصل الثانى تركه أباطيل العالم وذهابه إلى الإسقيط ١٣

الفصل الثالث إختياره سكرتيراً وتلميذاً لرئيس الأساقفة ٢٩

الفصل الرابع لقاءه مع القديسين العظيمين أبرآم وجورجى ٣٣

الفصل الخامس عجائبه ونبواته ٣٩

الفصل السادس عجائب الأنبا زكريا معلم القديس ونياحته ٤١

الفصل السابع رسامة الأنبا اسحق خلفاً للأنبا يوحنا ٤٥

الفصل الثامن عرض ومناقضة قوانين الرسامة ٥٦

الفصل التاسع شماسان لهما موقفان متناقضان ٦٠

الفصل العاشر مواهب الروح القدس ٦٩

الفصل الحادى عشر الاهتمام بتجديد الكنائس ٧٣

الفصل الثانى عشر ايمان القديس وعناية الله به ٧٧

تابع (الفهرست)

صفحة

الفصل الثالث عشر فطنة القديس وحكمته ٨٢

الفصل الرابع عشر اهتمامه بكنائس الحبشه

وسعيه فى الصلح مع ملك النوبة ٨٥

الفصل الخامس عشر أمر الوالى ببناء الكنائس فى حلوان ٨٨

الفصل السادس عشر مرض القديس ونياحته ٩٠

مراجع الكتاب ١٢٥

الفهرست ١٢٧

+ + + + +